السلسلة القصصية

« شهاب الدين »

اسم الكتاب : شهاب الدين
تأليف : د .مصطفى رأفت
تصحيح لغوي : أسامة محمد هاشم
تصميم الغلاف : نهي صبور
رقم الإيداع : ١١٢٠ / ٢٠١٧

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense.

زيرو وان بيكتشيرز للتوزيع – شارع أحمد فخري – مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 01090288777 -01285829109

«زيرو وان» للنشر و التوزيع
E.mail: Zeroonepictures@outlook.com
Zeronepictures.com
website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية .

«شهاب الدين»

الجزء الاول

للمؤلف

د. مصطفى رأفت

إهداء

إلى والدي... عسى أن نلقاك غدا في يوم المزيد...

إلى والدتي... عسى الله أن يجازيك عن والدي وعني وإخوتي أعظم الجزاء...

إلى زوجتي... عسى الله أن يجمع بيننا في خير في الدنيا والآخرة...

إلى أبنائي... عسى الله أن يجعلكم قرة عين لي دائما...

الفارس "شهاب الدين بن جلال الدين العربي"

بطل من أبطال المسلمين والعرب

نذر نفسه ليحارب الظلم والفساد

ظهر في زمان القهر والظلام

ليبث الأمل

في فجر جديد

يعيد أمجاد السابقين

د.مصطفى رأفت

العدد الأول

"الظهور"

" يوم جديد"

يوم جديد بدأ في بغداد...

أكبر مدن العالم في هذا الوقت...

العام هو ١٢٤٦ م ,٦٤٤ هـ ....

كانت بغداد عاصمة العالم بلا منازع... تمتد على مساحة شاسعة وكان يقطنها ملايين من البشر.

بنى هذه المدينة أحد أوائل الخلفاء العباسيين "أبو جعفر المنصور" وجعلها قبلة العالم في البناء والحضارة والتقدم والرقي.

كانت بغداد هي عاصمة الخلافة العباسية.

كانت – في بداية عهدها – تمتلئ بالعلماء والدعاة والدارسين والفنانين والعمال المهرة والتجار الأمناء والمقاتلين الشجعان.

بها الحدائق الغناء، والزهور والتحف النادرة والمباني العالية، واخترقها نهر "دجلة" في منتصفها، كما أبدع مهندسوها في بناء القناطر والكباري.

ساهم علماء بغداد في نشر الثقافة والبحث والاكتشافات في جميع مناحي العلوم من فلك وطب وهندسة وعلوم إنسانية... بل أبدعوا حتى في تطوير وصناعة الأسلحة والمعدات وخطط الحرب.

كان الميراث ضخمًا... لكن المتأخرين من زعماء الخلافة العباسية لم يكونوا– وللأسف– قادرين على تحمل عبء هذه الأمانة العظيمة...

فلقد انتشر الجهل والفقر والمرض في طبقة العامة من الرعية.

كما انتشر الفساد والظلم والخيانة في طبقة المسؤلين والحكام.

أضحت بغداد مقبرة للعلماء والمبدعين بعد أن كانت منارة للعلم والنور.

كان اهتمام الحكام ينصب على جمع الأموال الكثيرة والتحف النادرة وإقامة الحفلات الساهرة والتسلط على رقاب الناس وتوطيد أركان حكمهم ومناصبهم غير عابئين بما يعانيه شعبهم ومحكوموهم.

كل هذا والرعية صابرة... محتسبة... تتضرع إلى خالقها أن يكشف الغمة عنها... ولكنها لم تكن تعلم أن القادم أسوأ...

فمع كل هذا البلاء الذي أصاب عامة الناس... كان هناك بلاء جديد... بلاء من نوع خاص يتربص بهم... قادم من بعيد... من بلاد لم يسمع أغلبهم عنها قط...

ولكن...

في وسط هذا الظلام كان لابد أن ينتشر بعض النور...

كان هناك بعض العلماء والباحثين والدعاة الذين أبوا أن يقعوا فريسة لفساد حكامهم... حاولوا نشر العلم والأدب في أوساط تلاميذهم... حاولوا نشر الخير والحب والفضيلة في زمن أصبحت فيه هذه المعاني

ضربا من التخلف والجنون...

ونهض من هؤلاء من لم يعبئوا بما يصفهم به أعدائهم من خيانة ليغيروا ما يستطيعوا من واقع أليم وإن بقي عامة الناس على سلبيتهم أو سذاجتهم أو استسلامهم.

* بدأ هذا اليوم كما يبدأ كل يوم...

ولكنه بدأ بالغيوم...

غيوم تحجب نور الشمس...

غيوم الظلام والظلم...

غيوم "العلقمي"....

جلس قائد جنود الخلافة "علاء الدين" على صهوة فرسه ينظر بعينيه السوداوين إلى البيوت أمامه قبل أن يبدأ في التحدث بصوت عال وهو يرفع رأسه ووجهه الحليقين وغيوم الحريق تتصاعد من خلفه ليقول: ابحثوا في كل بيت... أريد أن أجد الكنز المفقود قبل مغيب الشمس... احرقوا البيوت ليعلم هؤلاء العبيد أننا لا نرحم من تستر على إخفاء شئ عنا.

قال فلاح تبدو عليه علامات الفقر وهو يقترب بخطوات ضعيفة من قائد الجنود: هذا ظلم... لماذا تؤذوننا ولم تجدوا في بيوتنا شيئا من كنزكم هذا؟!!!

قال "علاء الدين" بتعال: هذا ليس من شأنك يا هذا... واصمت... وإلا أخذناك للسجن والتعذيب.

طأطأ الفلاح رأسه في ذلة وخضوع قبل أن يحاول أن يتكلم مرة أخرى ولكن "علاء الدين" لم يمنحه أي فرصة بل أشار إليه بيده اليمنى – والتي تعاني من حرق قديم أدى إلى تحول لونها إلى البني الداكن – وهو يصيح فيمن حوله من الجنود قائلا: خذوه من أمامي!!

فتحرك الجند وأمسكوا الفلاح من ذراعيه وهو يبكي بكاء الذي ليس له حيلة ولا مخرج فأخذ يدعو عليهم ربه في نفسه وهم يلقون به بعيدا.

لم يبال "علاء الدين" ببكاء الفلاح المسكين وعاد لينظر مرة أخرى إلى الجنود ليجد مساعده "عقبة" يتقدم ناحيته بفرسه قبل أن يقول: لم نجد الكنز ياسيدي في هذا الحي أيضا!!

أخذ "علاء الدين" نفسا عميقا ثم قال في شراسة: إذا فلتحرقوا البيوت هنا أيضا.

قال "عقبة" في تردد: سيدي... ولكن هكذا....

قاطعه "علاء الدين" صائحا: لا تناقشني... نفذ الأمر.

أخفض "عقبة" رأسه في استسلام قائلا: سمعا وطاعة يا سيدي القائد.

ثم أمسك "عقبة" مشعله واقترب وهو على صهوة فرسه من الجنود

وصاح بهم يأمرهم: لا تتركوا بيتا واحدا... احرقوا جميع بيوت هذا الحي.

وبدأ الجنود في تنفيذ أوامر القيادة...

حرقوا البيوت غير عابئين بتذلل الرجال ولا بولولة النساء ولا بصراخ الصبية ، حاول بعض المجاهدين – المتهورون في نظر العامة – الخائنون في نظر القائد أن يمنعوا الجنود من حرق بيوتهم ولكن خيول الجند وقفت تدفعهم بعيدا ومن حاول منهم المقاومة كانت ضربة السوط على ظهره أو السهم المستقر في كتفه أو ساقه هو رادعه الوحيد من قبل الجنود.

وفي لحظات تحول ملاذ ومأوى العديد من المساكين إلى أثر بعد عين.

ونظر القائد "علاء الدين" إلى البيوت المحرقة باستخفاف... ثم ما لبث أن أخذ جموع جنوده وانصرف ليبحث عن الكنز الذي يريده كبير الوزراء "العلقمي" في مكان آخر.

*****

"عدنان الكوفي"

وقف زعيم التجار "عدنان الكوفي" بحلته المرصعة بالجواهر وأصابع يده التي امتلأت بالخواتم المصنعة من الأحجار النفيسة أمام تجار بغداد وهو يصرخ فيهم ويقول: أين هذا الكنز اللعين؟!!... أين هو؟!!!... لن ننتظر حتى يأتي قائد الجنود ليحرق علينا متاجرنا.

قال تاجر واقف أمامه: ولكننا لا نعلم أين هو يا سيدي!!.

قال "عدنان الكوفي": لابد وأن نعرف وإلا ذهبت تجارتنا وأموالنا إلى جحيم "العلقمي" وقائد جنده.

قال تاجر آخر: أنت صديقهم يا سيدي لماذا لا تطلب منهم أن لا يبحثوا عندنا؟!!

قال "عدنان الكوفي" في توتر واضح: لا أستطيع هذه المرة..."العلقمي" بنفسه أمر بأن تحرق بغداد كلها إن لم يعثر على هذا الكنز.

قال التاجر الأول: وما أهمية هذا الكنز الذي يريد أن يحرق البلدة كلها من أجله يا سيدي؟!!

صاح "عدنان الكوفي" قائلا وهو يتلفت حوله في خوف: أصمت... حتى لايسمعنا أحد من عيونه ... ليس لنا شأن بهذا... المهم أن نجد له الكنز بأي ثمن... هيا اذهبوا وابحثوا عن هذا الكنز... ومن يجده

منكم فليحضره لي أولا....

قال تاجر: لك يا سيدي أم لقائد الجنود.

تلفت الزعيم التجار حوله ثم قال في تردد: ل..ل..للبي..لي طبعا... حتى أضمن سلامته بنفسي إلى أن أوصله إلى قائد الجنود.فبدأ التجار بالانصراف... أما زعيم التجار فجلس أمام متجره الكبير وهو يفكر في هذا الكنز وما يمكن أن يتحقق إن ظفر هو به.

*****

"الأعمى"

جلس أخان يدعيان "سعد" و "سعيد" بالقرب من مسجد "القصر" أكبر مسجد في بغداد كلها والذي قد أحضر حجارة بناءه من الهند وأشرف على بناءه "أبو جعفر المنصور" شخصيا...

جلسا يتحدثان بصوت خفيض وقد أسندا ظهريهما إلى جدار صغير أمام المسجد وقال "سعد" وهو ينظر إلى أخيه بعينين يملأهما القلق: ماذا نفعل يا أخي؟!!! ... الأحياء تحترق منذ الصباح واحدا تلو الآخر!! وقائد الجنود يعلن أنه لن يتوقف حتى يجد الكنز.

عقد "سعيد" حاجبيه في غضب وهو يقول في حدة: لا... لن أفرط في كنز أبي... هذا الكنز ملكنا... أنا وأنت فقط... وليس للعلقمي ولا لقائده منه شئ!!.

قال "سعد" في أسى: ولكن يا أخي ماذنب هؤلاء الفلاحين المحرَّقةِ منازلُهم؟!!

قال "سعيد" وهو يخفض رأسه: لا أعلم... ولكني لن أفرط في كنز أبي مهما حدث... ثم سكت برهة قبل أن يكمل قائلا: يا "سعد"... أخشى أن يجده قائد الجنود الكنز في قبو منزلنا...فما رأيك أن ننقله إلى مكان بعيد؟

قال "سعد" في قلق: نعم ولكن.....

قاطعه "سعيد" وهو يشير إلى فمه قائلا بصوت خفيض: اخفض صوتك قليلا... ألا ترى هذا الأعمى المعصب العينين الذي يجلس أمام المسجد هناك.

قال "سعد" بصوت خفيض أيضا: نعم أراه... وماذا به؟

صمت "سعيد" قليلا ثم قال في حيرة: لا أعلم... ولكني أشعر وكأنه يراقبنا.

قال "سعد" مندهشا: يراقبنا!!!... كيف يراقبنا وهو أعمى؟!!

لم يجبه "سعيد" على الفور... بل أطال النظر في ذلك الشاب المعصب العينين في شك... ثم قال بهمس دون أن يحيل عينيه عنه: لا أدري حقا... ولكني لا أشعر بالارتياح هيا بنا لنذهب من هنا لنبحث عن مكان آمن في أطراف المدينة لنضع به كنزنا... هيا.

وقام الأخوان وانصرفا بعيدا دون أن يعلما بوجود شخص آخر يراقبهما من خلفهما وقد وقف ينظر إليهما وهما ينصرفان وعيناه تلمعان في جشع.

*****

"أصمعه"

كان التاجر "أصمعه" أحد تجار مدينة بغداد المشهورين... وكان يتميز بأشياء عديدة ولكنها كانت كلها بعيدة كل البعد عن أخلاق التاجر الأمين... كان يشعر بالسعادة حين يتعامل بالربا ويقرض أقرانه أو عملائه الأموال ليستردها أضعافا مضاعفه بعد ذلك... كان يطير فرحا حين يحتكر سلعة ما ويخفيها بعض الوقت ليزداد سعرها في السوق ويكثر عليها الطلب ثم يبيعها بأغلى الأسعار... كل هذا كان يتم بالطبع بعد موافقة سيده ومعلمه زعيم التجار "عدنان الكوفي".

فقد كان "أصمعه" المساعد الأول لزعيم التجار... وبالرغم من كل هذا إلا أنه اشتهر بين عوام الناس بالتاجر "الأبله" لما يحمله وجهه من علامات الغباء والبلاهة والحمق والتي لم تقدر أمواله التي جمعها ظلما على إخفاء ما يبدو عليه من سذاجة وحمق وبلاهة.

أراد "أصمعه" أن يساعد سيده "عدنان الكوفي" في إيجاد الكنز المفقود والذي يبحث عنه الوزير "العلقمي" وقائد جنده "علاء الدين" ولكنه – ببلاهته– لم يعلم أين يبحث وكيف... فانطلق في شوارع المدينة يبحث عن لا شئ... ثم تذكر الشئ الوحيد الذي يجيده... وهو جمع الأموال...

تذكر أنه قد أقرض تاجرا بسيطا ألف دينار واشترط عليه أن يردهم عليه

ألفين بعد شهرين من الزمن... فالتمعت عيناه في خبث وجشع عندما تذكر أن هذا الإقراض قد مضى عليه بالفعل شهرين ويومين....

فصوب وجهته إلى التاجر والذي يقع متجره بجوار مسجد "القصر" ودخل عليه متجره قائلا وبدون أي مقدمات: أين أموالي؟!!!

نظر له التاجر المسكين في دهشة ثم قال له: أين سلامك واستئذانك؟!!!

قال "أصمعه" بعد أن نظر إليه بعدم اهتمام: لا أفقه مما تقول شيئا... ولا أريد إلا أموالي... ألفي دينار... لاينقصون درهما واحدا وإلا أخبرت زعيم التجار أنك تنوي أن تتاجر في سلعة هو يمتلكها وحده...

ذهبت الدماء من وجه التاجر المسكين من خوفه وقال: ولكنك تعلم أني لم أفعل هذا!!

قال أصمعه بإستهتار: ربما نعم... وربما لا...

قال التاجر المسكين: ماذا فعلت بنفسي... أين كان عقلي حين اقترضت منك أيها "الأبل...

قاطعه "أصمعه" بإندفاع محذرا: إياك أن تنطقها وإلا....

سكت التاجر المسكين وطأطأ رأسه في حزن وقال: كما تريد... سأعطيك ما تريد ولكن المبلغ ليس معي بكامله الآن...

قال له "أصمعه" ببساطة: إذا أقرضك الباقي وترده لي ثلاث أضعاف بعد أسبوعين من الآن.

قال التاجر المسكين وهو يلوح بكفه في الهواء: لا... لا... لن أقترض منك مرة أخرى....

ثم تنهد في أسى قائلا وهو يترك جسده ليهوى في استسلام على مقعده: حسنا... هل ترضى أن تأخذ بقيمة المال ذهبا؟!!!

التمعت عينا أصمعه قائلا: ذهبا... ولم لا؟!! لا يكره أحد الذهب.

وضع التاجر رأسه بين راحتي يديه ثم قال بصوت أقرب للبكاء: إذهب إذاً إلى الجدار المتهدم أمام باب مسجد "القصر" وقف من الناحية الجنوبية للجدار... ثم احفر قليلا في الأرض من على بعد ثلاثة أذرع من منتصف الجدار وستجد صندوقا صغيرا به حلي من الذهب...

قاطعه "أصمعه": ولماذا لا تفعل أنت هذا الأمر؟

قال التاجر المسكين في حزن عميق دون أن ينظر إليه: قد كان هذا حلي زوجتي رحمها الله وقد كنت خبأته حتي أعطيه لابنتي في عرسها ولا أتحمل أن أعطيه لغيرها...

نظر له "أصمعه" في بلاهة وهو لا يستطيع استيعاب ما يحزن التاجر ولكنه لم يهتم لهذا كثيرا فانصرف قائلا: سأعود إن لم أجد الذهب...

قال التاجر المسكين في نفسه: لا أعادك الله أبدا.

وجلس التاجر المسكين داخل دكانه يتحسر على خسارته وقال في نفسه: هذا ما جنيته على نفسي... لم أكن أعلم أن خطأ كهذا ستدفع

ثمنه ابنتي... نعم... هذا والله جزاء من أراد حرب الله... والله لا أعود لمثل هذا مرة أخرى مهما كانت الظروف...

ورفع عينيه المملوءتين بالدموع إلى السماء ثم خفضهما وهو يقول في حزم: لن أعود أبدا....

*****

"حي الصقر"

انطلق "أصمعه" وهو يلهث ليستخرج الذهب الذي وعده به التاجر المسكين... ووصل إلى الجهة الخلفية من الجدار وبينما هو يحفر بكلتا يديه سمع الحوار الذي كان يدور بين الفلاحين الأخوين "سعد" و"سعيد" حول كنز أبيهما فالصق أذنه في الجدار ليستمع اليهما بوضوح...

وعندما علم بانصرافهما التف حول الجدار فرآهما وعرفهما... فقد كانا من زبائنه القدامى قبل أن يكون مساعدا لعدنان الكوفي... فأسرع "أصمعه" الخطا نحو زعيم التجار وما إن راه حتى صاح عاليا: يا زعيم التجار... يا زعيم التجار لقد وجدته...

قال له "عدنان الكوفي" بضيق: ما الذي وجدته أيها الأبله؟!!

لم يبال "أصمعه" بما وصفه به زعيمه وسيده وقال: الكنز يا سيدي... الكنز الذي يبحث عنه الجميع... لقد وجدته!!!

أمسك "عدنان الكوفي" رأس "أصمعه" بيده ووضع يده الأخرى على فمه ليسكته ثم اقتاده إلى داخل حجرته الخاصه في متجره وسار معه "أصمعه" في استسلام حتى وصلا إلى منتصف الحجرة بعد أن أغلق "عدنان الكوفي" الباب جيدا ليسأله بلهجة شديدة قائلا: أين هو؟!!!

تراجع "أصمعه" في خوف وهو يقول: ليس معي!!

قال "عدنان الكوفي" في غضب شديد: ولماذا تقول إذا أنك وجدته يا أبله؟!!!

ابتلع "أصمعه" ريقه ثم قال: أعلم أين هو يا سيدي... في داخل منزل فلاحين أخوين في حي "الصقر" يا سيدي يدعيا "سعد" و"سعيد".

ثم حكى له "أصمعه" ماسمعه عند الجدار.

وما أن انتهى حتى قال له "عدنان الكوفي": إذا هيا... فلتأخذني إليه على الفور.

قال "أصمعه": ألن تخبر قائد الجنود أولا؟!!!

صرخ فيه "عدنان الكوفي": وماشأنك أنت؟!!!!

انكمش "أصمعه" مرتعبا وهو يقول: معذرة يا سيدي ولكني كنت أظن أن...

قاطعه "عدنان الكوفي" قائلا في حزم: أنا لن اضيع مثل هذا الكنز من يدي مهما كانت الظروف... كنز بهذه الأهمية عند كبير الوزراء لدرجة أنه قد يحرق بغداد كلها من أجل الحصول عليه لا يجب أن أفرط فيه إن وجدته...

قال "أصمعه" في صوت خفيض: وما يحتويه هذا الكنز بالضبط يا سيدي؟!!!

قال "عدنان الكوفي" وهو يمرر سبابته وإبهامه على لحيته: لا أعلم...

ولكنه كنز لفارس من فرسان بغداد القدامى يدعى "النورس"... كان هذا الفارس من أقوى وأشجع فرسان الخلافة... وكان الخليفة حين ذاك يأتمنه على كل أسراره وأسرار الخلافة... ثم في يوم ما إختفى هذا الفارس ولم يعثر له على أثر....

قال "أصمعه": ولكن ألم يكن معلوما لأحد موضع بيته أو عائلته؟!!!

قال "عدنان الكوفي": لا... كان شديد الحيطة والحذر والسرية... بالطبع حتى لا يعلم أحد أعدائه مكانه أو مكان عائلته فيصيب أحدهم بأذى.

قال "أصمعه": إذا "سعد" و"سعيد" هما إبناه...

قال "عدنان الكوفي": يبدو كذلك... ولهذا يجب أن نسرع لنستولي على هذا الكنز قبل أن يأخذه غيرنا....

ثم التمعت عيناه في جشع وهو يقول: كنز لفارس عظيم مثل "النورس" كان مقربا من الخليفة لسنوات عدة لابد وأنه يحتوي على ما لم تره عينان من قبل... هيا بنا....

وانطلق الزعيم والتاجر الأبله "أصمعه" إلى حي "الصقر" حتى اقتربا من أحد المنازل المتواضعة فيه ليقول "أصمعه" بصوت هامس: هذا هو منزلهما... ولكني لا أعلم كيف ندخل إليه.

قال "عدنان الكوفي" وهو يشير برأسه إلى الأمام ناحية المنزل: أترى هذه النافذه الجانبية الصغيرة؟!!... أترى تلك الصخرة التي بأسفلها؟!!...

إذهب واستعن بها لتصل إلى تلك النافذة لتدخل منها إلى داخل المنزل لتفتح لي الباب من الداخل ثم أدخل أنا.

قال "أصمعه" في رعب: وماذا لو وجدت الأخوين بالداخل؟!!!

زفر "عدنان الكوفي" بقوة ثم قال له في عدم صبر: ستظل هكذا أبله دوما... ألم تخبرني بنفسك أنهما قد ذهبا يبحثان عن مكان امن في أطراف المدينه... ما الذي سيأتي بهما الآن إلى البيت؟!!!

حرك "أصمعه" رأسه يمنة ويسرة في حيرة بلهاء وقال: لا أدري!!!

قال "عدنان الكوفي": أنا أدري... أنت هنا لا لتفكر ولكن لتنفذ فقط... هل تفهم؟!!!

قال "أصمعه" وهو ينظر موضع قدميه: ن..ن..نـنـعـم... نعم يا سيدي!!!

ثم ذهب "أصمعه" يجر رجليه جرا تجاه المنزل... وما إن وصل أسفل تلك النافذة حتى نظر في قلق إلى سيده المختبئ بنصف جسده خلف الشجرة المقابلة للمنزل... ثم أعاد النظر إلى المنزل مرة أخرى... ليبتلع ريقه بصعوبة في محاولة لجمع شتات قلبه الذي تفرق في أنحاء جسده...

ثم حسم أمره وقفز علي الصخرة أسفل النافذة ثم تعلق بها وهو يحمد ربه أنها ليست مغلقة... ثم حشر جسده بداخلها لينجح في دخول المنزل... ثم ما لبث أن فتح الباب لزعيم التجار حتى يدخل هو الآخر.

وفي نفس الوقت وصلت قوات القائد "علاء الدين" إلى حي الصقر وبدأ في إخراج الناس من بيوتهم للتفتيش والبحث عن الكنز.

قال "علاء الدين" مناديا بأعلى صوته: يا أهل حي "الصقر"... بأمر من كبير الوزراء "العلقمي" يجب البحث في كل بيوت بغداد عن كنز "النورس" ومن وجدناه في بيته فعقوبته السجن... أما من يدلنا على مكانه فله عندنا مكافأة عظيمة...

وأنهى جملته الأخيره وهو يضحك في خبث.

ثم أضاف في غلظة: وإذا شعرنا بأنكم تضللونا... فلن نتردد أن نحرق بيوتكم كلها بلا استثناء.

خرجت له من وسط الفلاحين الذين تجمعوا بأمر الجنود في ساحة الحي امرأة كبيرة في السن ولكن وجهها كان يتلألأ نورا وجمالا تتكئ على عصا لها قائلة: ماهذا الذي تفعله؟؟؟ أتحرق بيوت الحي كله لتبحث عن كنز؟!!!

نظر "علاء الدين" إلى تلك المرأة العجوز والتي لم يستطع أن يمنع حاجبه الأيمن من الإرتفاع إعجابا بجمالها وعينيها الخضراوين والذي ما لبث أن عاد لموضعه في سرعة قبل أن يرتفع صوت صاحبه في نفاذ صبر قائلا: لقد سئمت فعلا من هؤلاء الرعاع الذين لا يجيدون إلا الاعتراض والاحتجاج... "عقبة"... خذها الآن إلى مقر القيادة...

ثم نظر إليها في وحشية قائلا: فلي معك خطط أخرى...

قالت العجوز في ثبات: لن يخيفني تهديدك يا قائد اللصوص...

نظر لها "علاء الدين" في دهشة دامت لمدة ثانيتين قبل أن تتحول نظرته إلى غضب هادر وهو يصرخ قائلا: لصوص؟!!! ستندمين على هذا القول يا امرأة... أيها المساعد افعل ما أمرتك به.

قال "عقبة": حسنا يا سيدي.

ونزل من على فرسه وأمسك بيدي العجوز ليوثقهما بغلظة بحبل متصل بفرسه قبل أن يقودهما بعيدا إلى خارج الحي...

وفجأة... خرج "عدنان الكوفي" و "أصمعه" من باب المنزل ورآهم أحد الجنود وهم يحملان صندوقا أسودا لامعا فصرخ وقال: الكنز... الكنز ياسيدي القائد.

فالتف الجنود حول زعيم التجار ومساعده الأبله وجاء القائد ووقف أمام الزعيم وأشهر سيفه ووضعه على رقبة "عدنان الكوفي"...

قال "عدنان الكوفي" والكلمات تخرج من فمه مبعثرة: يا..ي..يا يا سسيدي... ل..ل..للقد كنت سأحضره لك.

قال له "علاء الدين": ستحضره لي أم ستهرب به؟

قال "عدنان الكوفي" في رعب: لا..لا...لا... أبدا يا سيدي القائد... ها هو كنز "النورس" الذي كنت تبحث عنه.

قال القائد مخاطبا جنوده: خذوا الكنز وضعوه في عربة الأسلحة...

وأنت يا زعيم التجار انصرف من أمامي قبل أن أغير رأيي في مصيرك.

ثم التفت "علاء الدين" في سخرية إلى أهل الحي وقد بدأت الصيحات تعلو وسطهم:

اذهبوا بعيدا....

ألم يجدوا ما يريدون لماذا لا ينصرفوا عنا....

ارحلوا أيها الظالمون...

قاتلكم الله...

لم يعبأ القائد بصيحاتهم... بل تقدم بفرسه في ثبات وقال بصوت عال: جزاؤكم عندي يا أهل حي "الصقر" أنكم قد خبأتم الكنز عني وفيكم هذه المرأة الوقحة أن تحرق بيوتكم...

ثم أكمل في شراسة بالغة: وأنتم بداخلها....!!!!

صرخ الناس وتعالت صيحاتهم وولولتهم وأخذوا يفرون إلى أي مكان لكن الجنود أمسكوا بهم وأدخلوهم بيوتهم وأغلقوا عليهم الأبواب... وبدأوا في إشعال النيران في البيوت.

وفي مدخل الحي... اقترب الأخان ليجدا سحب الدخان تتصاعد من منازل الحي ورأى "سعد" من بعيد كنز أبيهم وهو على عربة الأسلحة والجنود وهم يتحركون بالمشاعل استعدادا لإضرام النار بالبيوت...

فقال "سعد" في لوعة: ما هذا؟!!!... أرأيت يا أخي... لقد استولوا على الكنز وسيحرقون بيتنا.

عقد "سعيد" حاجبية وقال وهو يضغط على أسنانه: لا... لن نسمح لهم... هذا كنز أبي وسأحافظ عليه حتى تنفرد سالفتي.

قال "سعد" في ألم: نعم يا أخي... ولكن... نحن اثنان فقط ولن نستطيع أن نهزم فرقة قائد الجنود وحدنا.

قال "سعيد" بعد أن أخذ نفسا عميقا: أعلم هذا... ولكني لا أستطيع أن أقف مكتوف اليدين وكنز أبي يسرق وبيتنا يحرق... هيا وليفعل الله ما يريد...

قال "سعد": هيا يا أخ....

وفجأة...

امتدت يد قوية لتمسك بكتفيهما فنظرا خلفهما ليجدا رجلاً ذا مظهر غريب..!!!!

فارس أشقر الشعر ينسدل شعره الناعم أسفل خوذته الذهبية اللامعة... ولحيته الشقراء تمتد إلى منتصف رقبته...

كما أن عيناه كانتا غريبتين... فقد كانت اليمنى زرقاء صافية مثل لون البحر مع بعض الشظايا الخضراء تشع من بؤبؤ عينه واليسرى لونها بني فاتح مثل عود الخشب...

هذا بالإضافة إلى ضخامة جسده وعضلاته المفتولة البارزة وقوة قبضته...

سمعاه يقول: لاتبرحا مكانكما... وانتظرا...

وبينما "علاء الدين" يصرخ في جنوده داخل الحي قائلا: هيا أسرعوا لا أريد رؤية بيت سليم في هذا الحي...

إذ بعربة تندفع مسرعة من مدخل الحي يجرها فرسان تحمل براميل مملوءة بالماء...

اندفع الفَرَسان بالعربة يشقان طريقهما بين الجنود فلم يستطيعوا أن يوقفوهما... وفي نفس الوقت سقط رمح من فوق التلال ليضرب العجلة الأمامية للعربة فانقلبت العربة وتتطايرت البراميل في الهواء ثم انفجرت بعد اختراقها بحصى صغير مندفع أيضا من فوق التلال فغمرت المياه المنازل وأخذت في إطفاء ما بها من نيران...

كل هذا حدث في ثوان معدودات و"علاء الدين" ينظر في ذهول وأخذ يصرخ: ما هـذا... ومن أين جاءت هذه الخيول... ومن ألقى بهذا الرمح؟!!!...

التفت الجندي الذي يجلس على فرسه بجوار "علاء الدين" يمنة ويسرة في حيرة فلم يجد أحداً وفجأة شعر بشئ فوقه فنظر إلى أعلى ليجد أن نور الشمس قد حجبه شئ مظلم يسقط عليه من فوق التلال... شئ أسود... ضخم... مرعب... تلمع عين زرقاء فيه... لم يستطع أن يتبين بقية ملامحه بسبب أشعة الشمس القادمة من خلفه....

وقبل أن يحاول أن يبتعد أسقطه هذا الشئ من على فرسه وجلس مكانه ثم ضرب مؤخرة حصان القائد بقوة لينطلق مسرعا بعد أن خرجت لكمة من هذا الشئ لتضرب وجه "علاء الدين" بقوة لتسقط رأسه على عنق فرسه...

وفي سرعة رهيبة... أخرج هذا الشئ – والذي لم يكن إلا الفارس الأشقر– من حزامه سلاحا غريبا يبدو مثل "النبلة" التي يستخدمها الجنود أحيانا في القتال... كان جذعها مغطى بالجلد الأسود الداكن... أما فرعاها فكانا ذهبيين ينتهي كل منهما بحلقة يمر من خلالها حبل بني مطاطي رفيع من طرفيه وعريض في منتصفه...

ألقم الفارس نبلته حصا صغيرا غريبا لونه أبيض مشرب بزرقة وتتصاعد الأدخنه منه على نحو عجيب أخرجه من كيس معلق في وسطه... ثم سحب الحبل المطاطي بقوة بيده اليمنى المغطاة بقفاز من الجلد وهو يمسك الجذع بيده اليسرى ليطلق حصوة تجاه الجندي الواقف أمامه والذي أسقطه للتو من على فرسه لتستقر في ذراعه اليمنى...

صرخ الجندي وهو يمسك ذراعه بيده اليسرى بعد أن سقط من الأولى السيف الذي كان يحمله... وقبل أن ينظر إلى مهاجمه تلقى واحدة أخرى في ساقه ليسقط أرضا وهو لايزال يملأ الدنيا بصراخ قوي وشعور غريب بالخدر والبرودة والألم يسري بذراعه وساقه المصابتين...

وما إن هم زملاؤه بالفتك بهذا الذي تجرأ أن يهاجمهم حتى انهالت على سواعدهم وسيقانهم الطلقات الزرقاء واحدة تلو الأخرى في سرعة

عجيبة وفي اندفاع رهيب...

شعر باقي الجنود بدورهم بنفس الخدر والبرودة الشديدة في مواضع إصابتهم بالحصى مما أدى إلى سقوطهم أرضا وهم يتألمون ولم يتمكنوا من الوقوف ولا حمل أسلحتهم.... وعندما شعر سكان الحي بانطفاء النيران خرجوا من بيوتهم فوجدوا الجنود وقد افترشوا الأرض لايستطيع أحدهم أن يقف على قدميه وصراخهم يصل إلى السماء... ورأوا من بعيد منقذهم وهو يسير نحو عربة الأسلحة وحرملته الذهبية تتطاير في الهواء من خلفه...

اندفع سكان الحي إلى الفارس الأشقر في لهفة و صيحاتهم تتعالي بالشكر والثناء على فعله... فالتفت إليهم الفارس في هدوء قائلا: لاداعي لشكري... لم أفعل إلا واجبي....

قال أحدهم: كيف هذا؟!!... لقد كنا على مشارف الهلاك فأنقذتنا... ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله... فلك جزيل الشكر ..

قال آخر في حماسة: لم نكن نظن أنه يوجد في بغداد كلها من يستطيع أن يكف قائد الجنود أو كبير الوزراء عن ظلمهم!!!

قالت فتاة في منتصف عمرها ضئيلة الحجم: نعم والله... ولا حتى أن ينتصر لنا أحد بكلمة....

قال رجل عجوز بصوت ضعيف: ولكن أين السيدة العجوز التي أمر قائد الجنود بأخذها؟!!!!

قالت الفتاة وكأنما تذكرت شيئا فجأة: ياإلهي... سيدتي... لقد نسيتها...

ونظرت فجأة إلى الفارس الأشقر وقالت في تضرع: أنجدنا أيها الفارس... أنجدنا... أخذوا سيدتي ولا أعلم ماذا سيفعلون بها... ياويلي...!!!!

قال لها الفارس بثبات: هدئي من روعك... أخبريني عنها؟ قالت الفتاة بصوت كالبكاء: هي سيدة ليست من أهل المدينة وقد جاءت منذ شهرين إلى بغداد واستأجرت هذا المنزل في حي "الصقر" وطلبت من جارتها وهي عمتي أن تجلب لها من يساعدها في شئون بيتها... فكنت أنا من أرسلتها إليها عمتي....

قال لها الفارس: ما اسم هذه السيدة؟!!!

قالت الفتاة: اسمها "نيرمان".... شعرت الفتاة أنها قد لمحت في عين الفارس ارتجافة قلقة... ثم ما لبث إلا أن هدأها قائلا: لا عليك... سأجدها بإذن الله.

قال أحد الواقفين: آخر ما رأيناه أن مساعد قائد الجنود كان يقتادها خارج الحي.

نظر الفارس إليه ثم قال: سألحق به إن شاء الله.

ثم التفت الفارس إلى العربة مرة أخرى.... وحمل صندوق الكنز وذهب به إلى مدخل الحي ليجد الأخوين في انتظاره فوضعه عندهما

وقال لهما: إن أبيكما كان رجلا عظيما... فلا تفرطوا في كنزه أبدا... وتركهم وهم بالانصراف فنادوه من خلفه: من أنت؟!!!!

فنظر إليهم في وقار وقال وهو يبتسم: إسمي الفارس "شهاب الدين".

*****

"ناريمان"

انطلق الفارس "شهاب الدين" على صهوة فرسه ليبحث عن مساعد قائد الجنود... وتوجه إلى الطريق المؤدي إلى مقر قيادة الجنود... وبينما فرسه يعدو مسرعا إذ لمح مساعد قائد الجنود عند بئر يشرب من ماءه وقد ربط معصمي السيدة العجوز بحبل غليظ يمتد إلى عنان فرسه....

فهبط الفارس "شهاب الدين" من على فرسه وتقدم صوب مساعد قائد الجنود "عقبة" وهو يقول بلهجة استفزازية: ألم تعلمك والدتك أي أخلاق حسنة؟!!!!

فوجئ "عقبة" بالفارس "شهاب الدين" فبصق ما تبقى في فمه من ماء... ونظر إليه في غضب ثم قال: من أنت؟!!!!

لم يهتم الفارس "شهاب الدين" بالإجابة على سؤاله وأكمل قائلا: كيف تفعل مثل هذا بإمرأة لا حول لها ولا قوة؟!!!!

نظر له "عقبة" في سخرية وقال: وما شأنك أنت أيها الفتى؟

ابتسم الفارس "شهاب الدين" وهو يسير يمنة ويسرة أمامه وقال: لا شئ إلا أنني كنت أظنك أقوى من أن تقيد امرأة خوفا من أن تفلت من بين يديك... أم أنك أضعف منها؟!!!

بدأت السخرية تختفي من وجه "عقبة" لتحل مكانها نظرة سوداء ثم قال له وهو يسير في إتجاه السيدة العجوز بعد أم مسح فمه بذراعه: يبدو أنك تهتم لأمرها....

قال له الفارس "شهاب الدين": ليس كما تظن... ولكني مهتم ببكاء أمك عليك....

قال "عقبة" في دهشة: علي أنا ؟!

ثم اندفع يضحك في استهزاء قبل أن يقول في شراسة: يبدو أن والدتك أنت هي التي ستبكيك... أو أظنها لن تبكي فهي لن تستطيع أن تتبين معالم وجهك مما سيحدث لك....

قال له الفارس "شهاب الدين": أظن أن البكاء اليوم سيكون من نصيبك أنت وحدك...

قال "عقبة": حسنا... يكفي هذا... فلتدعو والدتك الآن لترى ما سيحدث لك.

هز الفارس "شهاب الدين" كتفيه قائلا: ولماذا أدعها وهي خلفك....

نظر المساعد في دهشة إلى الفارس "شهاب الدين" وقال: ماذا؟!!!!

ثم التفت سريعا خلفه ليجد السيدة العجوز تمسك بعصى خشبية بكلتا يديها المقيدتين وهي تقول في قوة: أراك قد التقيت بولدي الحبيب.... وبسرعة وبقوة عجيبة لا تتناسب مع سنها ضربت رأسه

بالعصى الخشبية... وفي نفس الوقت كان الفارس "شهاب الدين" قد وصل خلفه ليقوم بحركة دائرية بساقه اليمنى – بعد أن أثنى ركبته اليسرى – لترتطم بكلتا ساقي "عقبة" ليدور جسده في الهواء مرتين قبل أن يسقط أرضا فاقدا الوعي....

وقف الفارس "شهاب الدين" بعدها ليحل وثاق أمه في حنان... ثم انحنى يقبل يديها قائلا بإهتمام بالغ: هل آذاك؟...

ربتت أمه على رأسه وهي تقول: لا يا ولدي الحبيب...

ثم ابتسمت قائلة: وهل كنت تظن أني أتركه يفعل؟!!!

قال لها "شهاب الدين" وهو يضحك: أعلم هذا جيدا... ولكني كنت أريد أن أتصنع دور الولد البار فقط...

قالت له أمه: ولكنك والله لا تتصنع... فلا يوجد رجل أبر بأمه منك يا ولدي... ابتسم "شهاب الدين" وقال: هذا ما أمرني به الله يا أجمل أمهات الدنيا... ثم احتضنها وسارا معا حتى بلغا موضع فرسه فحملها عليه ثم سار بجوارها وهو يمسك بعنان فرسه وقال لها: لماذا لم تخبريني أنك جئت إلى المدينة؟!!!! تمكثين شهرين كاملين دون أن تعلميني؟!!

قالت له أمه في حنان: لم أكن أريد أن أزعجك أو أشغلك عن خطتك... كما لم أكن أريد أن يعلم أحد صلتي بك...

ابتسم لها الفارس "شهاب الدين" ثم قال: بل أنت أمي... لا أنشغل بشئ عنك مهما كان عظمه...

قالت له أمه: أعلم يا بني... ولكن الأمر هذه المرة جد خطير... تنهد الفارس "شهاب الدين" قبل أن يقول في حسرة: بل هو في غاية السوء يا أماه...

قالت له أمه وهي تنظر إليه في فخر: ولكنك أهل لها يا بني...

قال الفارس "شهاب الدين" : هذا ما أرجو أن تدعي به الله من أجلي...

ثم أردف قائلا: فلا يستطيع المرء فعل شئ بدون توفيق خالقه...

رفعت أمه يديها إلى السماء قائلة: اللهم... انصر عبدك "شهاب الدين" ووفقه دائما إلى ما تحب وترضاه.

ابتسم الفارس "شهاب الدين" قائلا: اللهم آمين... ثم سار وهو يجر عنان فرسه ليوصل أمه إلى مكان بعيد لا يعلمه إلا هو.....

(تمت بحمد الله)

العدد الثاني

"السموم"

"شهاب الدين"

كانت ليلة باردة...

ليلة من ليالي الشتاء المقمرة في بغداد...

العاصمة الأسطورية....

ولكن... لم يمنع هذا البرد هذا الفلاح البسيط ليقوم ليصلي بين يدي ربه بضع ركعات يأنس بها مع خالقه... يشكو له فيها حاله... ويسأله من فضله...

خرج إلى حقله وحيدا تحت ضوء القمر... ووضع متاعه بجواره وبه كيس نقوده الذي كان يحمله معه ليذهب بعد صلاة الفجر ليبحث لابنه عن الهدية التي كان وعده إياها.

وفي الخفاء تحرك شبح من أشباح الظلام... تحرك لص من اللصوص يبحث عن أي شئ يسرقه... لم تكن تحكمه أي أخلاق أو تحركه أي مبادئ كريمة... كان يبحث عن المال وفقط... دون مراعاة لمصدره أو لطريقة جمعه...

رأى هذا اللص الفلاح البسيط وهو قائم يصلي وبجواره متاعه وكيس نقوده... فتحرك نحوه في خفة... وتقدم من خلفه في هدوء حتى لا يشعر به الفلاح وبدأت يده في الاقتراب من كيس نقود الفلاح في

بطء وتناهى إلى مسامعه ما يتلوه الفلاح من آيات... فسمعه يردد في خشوع: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءا بما كسبا نكالا من الله...." فابتسم في سخرية وخطف كيس النقود... وحين هم بالهرب إذ بحصاة كالقذيفه تضرب يده التي تمسك بكيس النقود ليسقط منه أرضا... فأمسك يده في ألم ونظر إلى السماء في رعب وتلاوة الفلاح لا تزال تتردد من خلفه ثم فر خائفا...

ومن بعيد.... من فوق شجرة كبيرة ينظر الفارس "شهاب الدين" إلى الفلاح في تواضع واحترام ثم يهبط من أعلى الشجرة لينصرف بعيدا في هدوء.

*****

"الثمار"

إذا دققنا النظر جيدا لوجدنا أشباحا تتحرك مرة أخرى في الظلام... ولكنها تبدو هذه المرة كأنها فرقة في مهمة ما.

وعند الإقتراب منهم... سيكون بإستطاعتنا أن نرى "عدنان الكوفي" زعيم التجار وهو يتحرك مع ثلاثة من رجاله ومعهم مساعده الأبله "أصمعه".

يتحركون متعمدين ألا يحدثوا جلبة ولا صوتاً حتى لا يراهم أحد ، خرجوا إلى خارج أسوار المدينة ومشوا بين المزارع الخارجية... ووصلوا إلى بيت قديم متهالك يبدو عليه أن أهله قد هجروه منذ زمن بعيد... التفوا حوله ليلتقوا بمجموعة غريبة من الناس... كانوا يلبسون ثيابا غريبة من الفراء الأصفر المائل إلى اللون البني وكانوا يلبسون أحذية جلدية ضخمة وقد أدخلوا في عنقها الطويل ما يرتدونه من سراويل من الجلود المطعمة بالفراء.

كانوا مدججين بالسلاح... أقوياء البنية... طوال القامة... وكانوا ملثمين لا يرى منهم إلا أعينهم التي كانت مسحوبة ورفيعة...

كان منظرهم مخيفا و يوحي بالرهبة بالفعل خاصة في هذه الليلة المقمرة.

بدا التوتر والخوف على مساعدي زعيم التجار "عدنان الكوفي" وإن

تماسك الأخير قليلا وحاول أن يبتلع ريقه قبل أن يقول في صوت خفيض لم ينجح في إخفاء خوفه: الس..السسلام عليكم...!!!!

نظر له كبير الرجال الغرباء نظرة صارمة – دون أن يرد– كادت أن تخلع قلبه من مكانه...

تبادل "عدنان الكوفي" النظر مع مساعديه في خوف واضح ثم عاد ليقول بصوت متهدج: لقد جئنا بالمال... المبلغ المطلوب كاملا... ههل... هل... هل أحضرتم الثمار؟!!!

لم يجب أيضا كبير الرجال الغرباء فظن الزعيم أنه لم يفهمه فاندفع قائلا وهو يرفع صوته قليل ويحرك يديه إلى فمه: هل تفهم العربية؟!!!... لقد جئن....

قاطعه الكبير بحركة من يده ونظرة نارية جعلت "عدنان الكوفي" ينكمش خوفا... ثم أشار الكبير إلى رجاله فتحركوا خلف كوخ صغير ملحق بالبيت القديم والتفوا حوله ليغيبوا هناك للحظات قبل أن يظهروا وهم يسحبون خمس عربات تجرها البغال محملة بأشياء مغطاة بغطاء من الجلد مما يجعل معرفة ماهية الحمولة مستحيلا.

شعر "عدنان الكوفي" ببعض الراحة عند رؤيته العربات التي تجرها البغال وقال في نفسه: أخيرا...!!!!

أخذ المساعدون بزمام البغال ودس زعيم التجار يده في داخل عبائته ليخرج كيسا كبيرا مملوء بالمال ويده ترتجف بعض الشئ وهو يعطيها

لكبير الغرباء... فأخذها الكبير في غلظة وألقى بها إلى أحد رجاله.

ثم التفت "عدنان الكوفي" مخاطبا مساعديه هامسا: هيا تحركوا إلى المدينة... ولا تكشفوا الغطاء الذي على الثمار حتى تصلوا إلى مخزني.

ثم وجه الكلام إلى مساعده الأبله قائلا: وأنت يا "أصمعه" تأكد من وضع جميع الثمار في المخزن ثم لا تبرح من أمامه حتى أحضر إليك.

ثم التفت "عدنان الكوفي" إلى الكبير مرة أخرى ليقول له: متى سيكون موعد الشحنة القاد....

ولم يكمل عبارته لأنه وجد الكبير وجميع رجاله قد اختفوا ولم يجد لهم أي أثر.

*****

"حسن الحداد"

تحرك في شوارع بغداد هذا الشاب الذي يبدو كفيفا على الرغم من ضخامة جسده وقوة بنيانه وهو يعصب على كلتا عينيه بعصابتين سوداوين ملساءتين ومتقاطعتين مع بعضهما البعض... تحرك كمن يعرف طريقه جيدا وهو يمسك في إحدي يديه عصا معدنية طويلة نحو سوق المدينة ليجد أن العديد من الناس قد تجمعوا هناك حول منادي زعيم التجار الذي كان يصيح في الناس قائلا: هيا أيها الناس... هلموا... هذه الثمار الجديدة لن تجدوا مثلها إلا عند زعيم التجار... قادمة من بلاد بعيدة... احضرها لكم خصيصا لتستمتعوا بها... هيا فلتسارعوا قبل نفاذها... هيا...

تدافع الناس ليشتروا هذه الثمار العجيبة والتي كانت جميلة وذات رائحة ذكية... تقدم الشاب المعصب العينين من جموع الناس وقال للواقف بجواره والناس تصطدم بكتفه في اندفاعها نحو متجر "عدنان الكوفي": ماهذه الجلبة؟ وماهذا الزحام؟!!

قال له من بجواره قبل أن ينظر إليه: ألا ترى؟!!...

ثم نظر إلى عينيه المعصبتين وقال في حرج: معذرة... لم أكن أعرف... أقصد... لم أكن ...

قاطعه الشاب بابتسامة هادئة قائلا: لا عليك.

نظر له الذي بجواره قليلا وتأمل شعره الأشقر الناعم المنسدل على كتفيه ولحيته الذهبيه قبل أن يقول له: يبدو أنك جديد على المدينة... هذا هو متجر زعيم التجار "عدنان الكوفي" وهو يبيع للناس ثمارا جديدة منذ الصباح والعجيب أنه يبيعها بثمن بخس على غير عادته... يبدو أنه قد قرر أخيرا أن يكون كريما وطيبا!!!

ظهر القلق على ملامح الشاب فهو يعلم زعيم التجار جيدا... ليس في قلبه ما قد يدفعه لفعل الخير مع غيره... إنه جشع وظالم وبخيل وليس من السهل أن يبيع للناس ثمارا بثمن بخس وخاصة أنه – كما يقول مناديه – هو فقط من يمتلكها... هذا ليس من عادته....

وبينما غرق هذا الشاب في تفكيره ازداد تجمع الناس وتدافعهم حول متجر زعيم التجار... كل منهم يريد أن يظفر بهذه الثمار قبل نفاذها كما يزعم منادي زعيم التجار...

ثم هم الشاب بالانصراف بعيدا فناداه من بجواره: أأساعدك؟

قال له الشاب وهو يبتسم: جزيت خيرا... بل أعلم طريقي جيدا...

وانصرف الشاب في هدوء وهو يحرك عصاه المعدنية أمامه حتى وصل إلى دكان حداد بالقرب من السوق ووقف على بابه وهو يقول: أين أنت أيها الحداد؟... أريد منك شيئا هاما...

خرج رجل من داخل الدكان شديد سواد البشرة... طويل القامة... ضخم الجثة... مشمر عن ذراعيه لتبرز عضلات ساعديه وقد نفرت منهما العروق لتدل على ضخامة العمل الذي يقوم به صاحبهما ليجد الشاب وقد وقف مستندا بكتفه إلى حائط أمام دكانه فقال له بصوت أجش: وماذا تريد من الحداد؟!!

اقترب منه الشاب في ثقة ووضع يده على كتفه وقال: كان قد وعدني بشئ يصنعه لي وأخشى أن يتأخر علي فأضطر آسفا أن أضرب عنقه!!!

نظر له الحداد وهو يضحك وقال له: وكيف ترى عنقه وأنت بهذه العصابه....

وإبتعد الحداد قليلا ثم انحنى ليأخذ نصل سهم ملقى بجوار بعض القطع الحديدة خارج دكانه وفجأه قذفه سريعا تجاه الشاب الذي وبسرعة عجيبة استطاع أن يمسك بالنصل قبل أن يخترق وجهه بشبر واحد ثم ألقاه أرضا واتجه نحو الحداد الذي وجده يقول: يبدو أن سرعتك ومهارتك قد ارتفعت عن ذي قبل....

قال له الشاب: أترى هذا؟!!!

قال له الحداد وهو يبتسم: لست وحدي الذي يرى هذا...

أهل حي الصقر جميعهم رأوا هذا... وقائد الجنود أيضا... أليس كذلك؟!!!

ابتسم الشاب وقال: لا أظن أنه كان عنده متسع من الوقت ليرى شيئا...

ضحك الحداد وهو يقول: ولكنه لابد أنه شعر على الأقل بالشهاب وهو يسقط عليه من السماء...

ضحك الإثنان وتعانقا ودلف الحداد إلى الدكان مع هذا الشاب المعصب العينين الذي لم يكن إلا الفارس الأشقر... الفارس "شهاب الدين".

*****

"الثقب"

وقف "عدنان الكوفي" في مخزن متجره في سوق المدينة وبجواره مساعده الأبله "أصمعه" الذي اندفع يقول له في حماسة بلهاء: انظر ياسيدي... كما قلت لك... كل الثمار بها هذا الثقب الصغير... نفس الحجم... وفي نفس المكان.

قال له "عدنان الكوفي" في حيرة: عجبا لك أيها الأبله... كيف اكتشفت هذا الشئ؟!!

قال له "أصمعه" في خوف: سقط صندوق من الثمار في الرمال فجمعتهم وجعلت أمسحهم بخرقة حتى أزيل أثر التراب من عليهم فوجدت أن أثره يذهب عنهم جميعا إلا في هذا الموضع!!!

ثم أكمل في خوف: كان صندوقا واحدا فقط يا سيدي ولم تفسد الثمار... أقسم لك... لم تفسد.

قال "عدنان الكوفي" وهو ينظر إلى "أصمعه" نظرة شك: حسنا... حسنا... ليس هذا هو المهم الآن... المهم ما هذا الثقب الموجود في الثمار؟!!!

وصمت قليلا ليفكر وهو يحرك كعادته سبابته وإبهامه على لحيته....

ثم سأل "أصمعه" "عدنان الكوفي" في بلاهة: سيدي كنت أريد أن

أسألك... لماذا تبيع هذه الثمار بهذا المبلغ الزهيد وهي موجودة عندك أنت فقط... لو كنت عرضتها بسعر أعلى لاشتراها الناس أيضا... ولزاد ربحك؟

لم يرد زعيم التجار على مساعده وهو لا يزال يقلب أمر الثمار في رأسه... فاقترب "أصمعه" منه وكرر السؤال فلم يرد أيضا... فهم "أصمعه" أن يعيد السؤال مرة ثالثة وقال برتابة بلهاء: سيدي... لماذا كن....

قاطعه "عدنان الكوفي" صائحا بغضب: يا أبله ألا تعلم الوقت المناسب للكلام والوقت المناسب للصمت؟!!!

قال له "أصمعه" وهو يتراجع خائفا: معذرة ياسيدي... كنت فقط أريد أن أفهم...

قال "عدنان الكوفي" في سخرية: أنت والفهم لا يجتمعان....

لم يستطع "أصمعه" أن يرد ولكن زعيم التجار اختفت ملامح السخرية من وجهه وهو يقول: ولكنك على حق... لم أرد أنا أن أبيعها بهذا الثمن الزهيد... ولكن كان هذا شرط الرجل الذي أحضرها لي... وقد هددني أن أفقد جميع ما أملك إن لم أطعه وأنفذ أمره....

ثم أكمل وهو يوجه الكلام إلى نفسه وأصابع يده تكاد تفتك بلحيته: ولكن هذا الثقب محير فعلا... لماذا يثقبون الثمار؟!!! هل لانتزاع شئ منها أم لوضع شئ بها....

وفجأة اتسعت عيناه ذعرا وهو يقول: هذا صحيح... لن يستطيع بهذا الثقب الصغير إلا وضع شئ في الثمار وليس استخراج شئ منها... ولكن... لماذا؟!!!

اندفع "أصمعه" قائلا: يجب علينا أن نبلغ قائد الجنود.

صرخ فيه الزعيم: أجننت يا أبله؟!!!

قال "أصمعه" في خوف: ولكن يا سيدي قوانين الخليفة تحتم أن نبلغ عن....

ضربه "عدنان الكوفي" بقوه على فمه قبل أن يكمل كلامه وقال: أصمت يا غبي... الخليفة لن يعلم شيئا... وحتى إن علم فهو من الضعف بحيث أنه قد لايدري في أي عام نحن الآن... ولن يعلم قائد الجنود أو كبير الوزراء أي شئ... أتعلم لماذا؟!!! لأني أنا وأنت فقط من يعلمون بهذا الأمر... وأنا لن أخبرهم... فإن علموا بالأمر فسوف أقتلك!!!!

قال له "أصمعه" وهو يضع يده على فمه في خوف: لن أخبر أحدا يا سيدي... أعدك ... أعدك.

نظر له "عدنان الكوفي" نظرة نارية متوعدة قبل أن ينصرف عنه وهو لايزال يقلب الأمر في رأسه لا يستطيع أن يصل بتفكيره إلى سبب يدعو هؤلاء البائعين إلى دس شيئ في الثمار... وأخذ يفكر في خطة بديلة تمكنه من بيع هذه الثمار قبل أن يكتشف أحد ما اكتشفه "أصمعه"....

"الشك"

جلس الفارس الأشقر في ركن دكان الحداد "حسن سليمان" وأخذ ينظر إليه وهو يطرق بمطرقته بقوة على قطعة حديدية حمراء شديدة السخونة قبل أن يضعها في الماء ليتصاعد منها بخار كثيف ثم يعود لطرقها من جديد...

وارتفع صوت "حسن" عاليا حتى يستطيع الفارس "شهاب الدين" أن يسمعه وقال له: ما الذي يشغلك؟!!!... منذ أن دخلنا إلى الدكان وأنت صامت....

قال له "شهاب الدين " في بطء: لا شئ... ولكني أفكر...

قال "حسن" بعد أن توقف عن طرقه: وفيم تفكر... أنت تعلم أني لم أنتهِ بعد من السلاح الذي تطلبه... فهو يحتاج إلى مجهود ضخم ودقة في العمل...

تنهد "شهاب الدين" وقال له: ليس هذا ما أفكر فيه... أعلم أنك تقوم بعملك على أكمل وجه ولا ألومك على شئ... ولكن هناك أمرا آخر فعلا يشغل بالي...

ابتسم "حسن" وهو يتجه ناحيته وهو يقول: إذا أشركني... فربما أستطعت أن أساعدك بشكل أو بآخر....

صمت "شهاب الدين" قليلا ثم قال: هل سمعت عن ثمار "عدنان الكوفي" الجديدة؟

أجاب "حسن" : نعم... التي يتقاتل عليها الناس منذ الصباح؟!!!

رد "شهاب الدين" قائلا وهو يضيق عينيه: ألا يثير ريبتك أن تاجرا جشعا ظالما محتكرا مثل "الكوفي" يبيع ثمارا جديدة لم يرها أحد من قبل ويمتلكها هو وحده ولا يوجد مثلها عند أي تاجر آخر بثمن بخس؟!!!

أخذ "حسن" يفكر قليلا قبل أن يقول: ربما... ولكن من الممكن أنه يفعل هذا لأنه يظن أنها قد تفسد سريعا مثلا...

قال له "شهاب الدين" وهو يهز رأسه: هذا محتمل... ولكني لا أظن أن رجلا مثل "الكوفي" يلقي بالاً بفساد ثماره أو عدم فسادها... سيجد من يشتريها منه على كل حال...

رد "حسن" في سرعة: تقصد يرغمه على شرائها...

قال "شهاب الدين" وهو يشير بيده: أو كما تقول... المهم أنني يجب أن أعرف السر وراء هذه الثمار...

ثم نظر "شهاب الدين" إلى "حسن" كما لو كان تذكر شيئا وقال له: هل أكلت من هذه الثمار؟!!!

رد "حسن" : أعطاني جار لي ثمرة مما ابتاع لأتذوقها... والحق يجب

أن يقال... إن لها مذاقا جميلا فعلا...

نظر له "شهاب الدين" وهو يبتسم وقال: ولماذا لم تقاتل عليها مثل باقي الناس؟!!!

ضحك "حسن" وهو يغمز بإحدى عينيه ويقول: كان عندي عمل مهم لرجل أكثر أهمية....

ابتسم "شهاب الدين" لمجاملة صديقه ثم عاد لصمته مرة ثانية...

تقدم نحوه "حسن" قائلا: حسنا... ماذا تنوي أن تفعل؟!!!

رد "شهاب الدين" في حسم: سأسأل صاحب الشأن نفسه... زعيم التجار..."عدنان الكوفي"...

*****

"مالك البصري"

ارتفع صراخ هذا الطفل الذي لم يتجاوز العشرة أعوام في هذا المنزل الكبير في حي "الأشجار" الثري... واندفع نحو حجرته والده ووالدته في سرعة ليطمئنا عليه ليجداه منكمشا في سريره وهو يمسك ببطنه ويرفع ركبتيه نحو صدره ولا يتوقف عن الصراخ....

بادره والده في لوعة قائلا: ما بك يا ولدي... ماذا أصابك؟!!

بينما صرخت الأم في فزع: ما الذي حدث يا "حسام"؟!!

واصل الطفل "حسام" الصراخ ووالداه يحاولان أن يهدئا من روعه أو أن يعرفا ما أصابه دون جدوى... وبدأت الأم في البكاء وهي لا تدري ماذا تفعل حتى تمالك الوالد رباطة جأشه واقترب من رأس ابنه وأخذ يمسح عليها في هدوء وهو يتمتم ببعض الآيات حتى بدأ الطفل "حسام" في الهدوء قليلا...

شعرت الأم ببعض الارتياح واندفعت نحو ابنها تقبله قائلة: ولدي الحبيب... ما بك؟!!

بدأ "حسام" في الكلام بصعوبة: أشعر بآلام كبيرة... آلام كبيرة...

سألتة والدته في لهفة: أين؟؟ أين موضع الآلام؟

أشار "حسام" إلى بطنه دون أن يتكلم... فنظر الوالدان بعضهما إلى بعض ثم قالت الأم مخاطبة الوالد: افعل شيئا يا "سعيد" أرجوك... خذه إلى الطبيب سريعا...

نهض الوالد "سعيد" في سرعة قائلا: هذا ما كنت سأفعله بالفعل....

وحمل "سعيد" ابنه "حسام" في حنان ورفق واندفع خارجا من بيته قاصدا الطبيب الذي يقطن في المنزل المقابل له ولم يستطع أن يطرق الباب وهو يحمل ابنه فأخذ في النداء بصوت عال: يا سيد "مالك"... يا سيد "مالك"... يا سيد "مالك"....

انفتح الباب في سرعة وظهر على عتبته رجلا في منتصف الخمسينات من عمره بدينا بعض الشئ تبدو عليه أمارات الثراء ولكنه كان يمتلك وجها بريئا طيبا...

قال له الطبيب "مالك البصري": ماذا حدث؟!!!

ثم نظر إلى الطفل "حسام" وسأله في سرعه ولهفة: ماذا أصاب ولدك؟!!!

قال له "سعيد": لا أعلم... كان يصرخ منذ قليل وقال إنه يشعر بآلام شديدة في بطنه...

أفسح له الطبيب"مالك البصري" الطريق قائلا: هيا... هيا... أدخله إلى داخل المنزل وأجلسه على هذه الوسادة حتى أحضر حقيبتي...

دخل الوالد "سعيد" وأجلس ابنه على الوسادة كما قال له الطبيب...

ونظر إلى طفله الذي بدأ يهدأ ويغمض عينيه وإن كان لايزال ممسكا ببطنه... وماهي إلا لحظات حتى حضر الطبيب وهو يحمل حقيبة جلدية واقترب من الطفل "حسام" وانحنى يفحصه وهو يسأل والده: هل أكل ابنك شيئا منذ الصباح؟!!

رد عليه "سعيد": نعم... ولكنه الأكل المعتاد الذي يأكله كل يوم...

سأله الطبيب"مالك ": أمتأكد أنت من هذا؟!!!

رد "سعيد" في حيرة: نعم... لم يطعم إلا بعض الخضروات والثمار التي إبتاعتها أمه له من السوق في الصباح...

أزال الطبيب "مالك" يدا الطفل عن بطنه في هدوء وكشف رداءه عن بطنه فوجد جلد بطنه وقد امتلأ بحبوب حمراء اللون وانتشر هذا الطفح على يديه أيضا...

ثم أمسك الطبيب برأس الطفل برفق وحاول أن يفتح فمه إلا أن الطفل قد بدأ يغط في نوم عميق فكره الطبيب أن يوقظه... فتركه ليستريح قليلا... ثم عمد إلى حقيبته فأخرج منها قارورة من الزجاج الشفاف ممتلئة بسائل أبيض اللون وأعطاها ل "سعيد" قائلا: اسقه من هذا الشراب شربة واحدة في الصباح ومثلها في المساء...

سأله "سعيد" في لهفة: وما به؟!! ما الذي أصابه؟!!

نظر الطبيب "مالك" إلى الطفل في شفقة ثم قال: مايبدو لي حتى الآن أنه كان يعاني من آلام شديدة بسبب شئ في جسده أدى أيضا إلى

ظهور طفح جلدى على بطنه ويديه...

سأله "سعيد" في حيرة: وماهذا الشئ الذي في جسده؟!!!

قال له الطبيب "مالك": حتى الآن لا نعلم على وجه التحديد... ربما يكون طعاما فاسدا قد تناوله أو شيئا ملوثا قد وضعه في فمه...

أخذ "سعيد" في التفكير قبل أن يقول: ولكنه لم يبرح غرفته منذ الصباح ولم يتناول شيئا إلا ما ابتاعته والدته له كما قلت لك...

رد الطبيب "مالك": من المحتمل أن...

وقبل أن يكمل عبارته قاطعته صرخه كبيرة قادمة من منزل جاره "سعيد"... صرخة أم الطفل "حسام"....

هرع "سعيد" إلى بيته ليجد زوجته عند باب منزله لا تقوى على الوقوف من شدة الآلام وهي تصرخ قائله: سعيد... أنجدني... آلام شديدة في بطني... لا أقدر على تحملها....

اندفع "سعيد" ليحمل زوجته إلى بيت الطبيب فوجده قادما خلفه يحمل قارورة الدواء الذي كان سيعطيه للطفل "حسام"... فأخذ منه القارورة في سرعة وفتحها واقترب من زوجته في حنان وقال لها: إشربي شربة واحدة من هذا الدواء واطلبي من الله الشفاء....

فحاولت الأم أن تتمالك نفسها وامسكت القارورة بيد مرتجفه قبل أن تجرع شربة منه قائلة في ألم: حمدا لله على كل شئ....

ربت زوجها على ظهرها في حنان وبدأ في الاطمئنان عند توقف صراخ زوجته وإن كانت لاتزال تشعر بالألم...

ثم ساعد زوجته في النهوض ليدخلها إلى داخل منزله... ثم توقف فجأة ونظر إلى الطبيب "مالك" قائلا: حسام...!!!!

قاطعه الطبيب "مالك" بإبتسامه مشفقة قائلا: لا تقلق... اطمئن على زوجتك وأنا سأطمئن لك على ابنك....

ثم اتجه الطبيب "مالك" إلى منزله مرة أخرى قبل أن يرتفع الصراخ مرة ثالثه في حي "الأشجار" ولكن في هذه المرة من عدة منازل في نفس الوقت...

*****

"فهد الدمشقي"

كانت شمس العصر تمد أشعتها الصفراء الدافئة لتغمر أنحاء "بغداد" عندما وقف زعيم التجار "عدنان الكوفي" عند مقابر المدينة في توتر وهو يفرك كفيه في عصبية ومن حين إلى آخر ينظر إلى مدخل المقابر فلا يجد أحدا فيعود إلى توتره من جديد... مكث هكذا قليلا حتى خيل إليه أنه سمع وقع أقدام تقترب من بعيد فاشرأب بعنقه حتى يتأكد مما سمعه فوجد كهلا قادما من بعيد... ورءاه وهو يدلف إلى المقابر فشعر ببعض الارتياح وانتظر حتى يقترب منه هذا الرجل... الذي وما إن وصل إليه حتى قال في غضب: ما هذا يا رجل؟!!!... ما هذا المكان الغريب الذي اخترت لقائي فيه؟!!! أهكذا يعامل كبير تجار دمشق؟!!!!

رد "عدنان الكوفي": إخفض صوتك يا "فهد"... إخفض صوتك يا رجل... لا أريد لأحد أن يسمعنا...!!!!

قال "فهد الدمشقي" في دهشه: يسمعنا... نحن في المقابر يا رجل... من سيسمعنا؟!! الأموات؟!!!

جذبه "عدنان الكوفي" من ذراعه وهو يسحبه إلى ممر ضيق وسط المقابر قائلا: لا عليك من هذا الآن... المهم هل تبعك من أحد؟!!!!

أفلت "فهد الدمشقي" ذراعه من يد "عدنان الكوفي" وهو يقول في ضيق: لا لم يتبعني أحد... أنا واثق من هذا...

ثم أضاف في دهشة: ما هذه السرية المبالغ فيها التي أمرتني أن أتبعها في رسالتك التي أرسلتها إلي؟!!! وما هذا المكان البغيض الذي نجتمع فيه؟!! أما كان أولى أن تستقبلني في متجرك أو في بيتك؟!!!

رد "عدنان الكوفي" في سرعه وهو يضع يده على فم "فهد الدمشقي": أتوسل إليك أن تخفض صوتك... وسأطلعك على كل شئ...

قال "فهد الدمشقي" في استغراب بعد أن أزال "عدنان الكوفي" يده من فوق فمه: إذا أخبرني...

أخذ "عدنان الكوفي" نفسا عميقا قبل أن يقول بصوت خفيض: عندي لك شحنة ثمار لم ولن ترى مثلها قط....

بدت ملامح الإهتمام على وجه "فهد الدمشقي" قبل أن يقول: أي ثمار هذه؟!!!

رد "عدنان الكوفي" في سرعة: ثمار من بلاد بعيدة... عربتان كاملتان تحمل كل منها حمولة مائة وخمسون صندوقا من هذه الثمار... و سأبيعهما لك بمائتين من الدنانير فقط..!!!!

رفع "فهد الدمشقي" حاجبيه في دهشة قائلا: فقط!!!... ومنذ متى أصبحت كريما وجوادا إلى هذا الحد؟!!!...

رد "عدنان الكوفي" في خبث: اعتبرها هدية مني إليك ردا على ما تسببته في خسارة لك العام الماضي عندما نفقت الجمال التي كانت تحمل البضاعة لك...

رد "فهد الدمشقي" في غضب: إذا أنت كنت تعلم أن الجمال مريضة وستنفق ومع ذلك أعطيتها لي...!!!!

ارتسمت على وجه "عدنان الكوفي" نظرة اعتذار كاذبة وهو يقول رافعا كفيه حذو منكبيه: حاشا لله... لم أكن لأضرك عن قصد أبدا... وهذه الثمار التي أبيعها لك الآن – والتي تستطيع أن تبيعها أنت بأضعاف ثمنها الذي دفعته لي – ستعوضك عن خسارتك الكثير ....

نظر له "فهد الدمشقي" في شك وصمت برهة من الوقت قبل أن يقول: حسنا... ولكنك أيضا لم تفسر لي سبب هذه السرية العجيبة؟!!!

قال له "عدنان الكوفي" في سرعة: أنت تعلم أني وكبير تجار الموصل على خلاف دائم وهو قد بعث عيونه في بغداد يريد أن يعرف مسارات تجارتي حتى ينتقم مني... فأخاف أن يعلم بأمر صفقتنا فيسطو على حمولتك ونخسر جميعا!!!!

نظر له "فهد الدمشقي" مرة أخرى في شك قبل أن يقول: وأين سأتمكن من أخذ الشحنة؟!!... في المقابر هنا أيضا؟!!

ضحك "عدنان الكوفي" قبل أن يقول: لا يا عزيزى... سأحضرها لك عند منتصف الليل خارج أسوار المدينة بالقرب من البوابة الجنوبية....

رد "فهد الدمشقي": بنفسك؟!!!

قال "عدنان الكوفي": لا... سيحضرها لك مساعدي "أصمعه"!!!

ضحك "فهد الدمشقي" قبل أن يقول: "أصمعه"!!!... أما زال ذلك الأبله حيا ؟!!!... حسنا... حسنا...

ثم أخرج من جيبه صرتين من الدنانير وأعطاهما إلى "عدنان الكوفي" قائلا: آمل أن تظل جوادا دائما كهذه المرة....

رد "عدنان الكوفي": بالطبع... وثق أن البضاعة ستنتظرك في المكان والموعد دون أي تأخير... ولكن خذ حذرك ولا تحدث أحدا في اتفاقنا... هل تفهم؟!!!!

قال له "فهد الدمشقي" وهو ينصرف: لا تقلق لن أخبر أحدا... إلى اللقاء...

انصرف كبير تجار دمشق واتجه "عدنان الكوفي" إلى نهاية الممر الضيق وأزاح بعض الصناديق المتراصة فوق بعضها البعض ليكشف عن باب خشبي مدفون في الجدار كانت تسده تلك الصناديق وفتحه ليضع فيه الأموال التي أخذها من "فهد الدمشقي" ثم أغلق الباب في إحكام... وبينما هو يهم بإعادة الصناديق إلى مكانها مرة أخرى إذ شعر أن هناك من يراقبه فالتفت فجأة ناحية مدخل الممر فوجد هيئة رجل لا يستطيع أن يتبين ملامحه وأشعة الشمس تأتي من خلفه فناداه في توتر: من أنت؟!!!

بدأ القادم في الإقتراب من "عدنان الكوفي" في بطء مخيف دون أن يرد... وانتقل الخوف بالفعل إلى قلب "عدنان الكوفي" وبدأ في

التراجع وهو يقول في خوف: من أنت؟!!... وماذا تريد؟!!!

لم يرد القادم مرة أخرى وهو يواصل تقدمه و "عدنان الكوفي" يتراجع في خوف حتى التصق ظهره في الجدار وهو يلهث في رعب حتى وصل إليه القادم أمامه وأمسكه من صدره بقوة بكلتا قبضتيه وقال بصوت جهور وهو يقرب وجهه من وجه "عدنان الكوفي": أنا الذي أسأل هنا ... لا أنت...!!!

نظر "عدنان الكوفي" إلى عين القادم الغريبة فقد كانت إحدى عينيه زرقاء والأخري بنية اللون قبل أن يقول وهو يتلعثم: ووو... ومماذا... ماذا تتتريد أن تسأل؟!!!

سأله القادم في غلظة: من أين أتيت بالثمار الجديدة التي تبيعها؟!!!!

بلع "عدنان الكوفي" ريقه في صعوبه قبل أن يقول: وما يهمك أنت؟!!!

بدأ القادم في رفع "عدنان الكوفي" من على الأرض بذراعيه القويتين وهو يمسك بصدره في شدة قبل أن يقول بصوت مرعب: لن أطرح سؤالي مرة أخرى....

امتلأ قلب "عنان الكوفي" فرقا ورعبا وهو يشعر أن قدميه بعيدتان عن الأرض وقال: ممن... من خارج ال... ال.. من خارج البلاد....

قال له القادم: من أعطاها لك ولماذا تبيعها بهذا الثمن البخس؟!!!

رد "عدنان الكوفي" وهو يلهث من فرط الرعب: لا أعلم... لا أعلم

من هو... هو فقط يرسل لي في الحمام الزاجل رسالة يخبرني بموعد وثمن ومكان تسليم بضاعته وهو الذي أمرني أن أبيعها بهذا الثمن البخس... رجل ضخم ذو عين ضيقة... ولكني أقسم لك أني لا أعلم من هو... أقسم لك....

تركه القادم ليسقط أرضا ثم أولاه ظهره وهم بالانصراف قبل أن يلتفت إليه بعينه الزرقاء لتلمع فيما تبقى من أشعة شمس لهذا اليوم ويقول: سألقاك مرة أخرى يا "عدنان"... قريبا....

وانصرف في هدوء وبقي "عدنان الكوفي" جالس على الأرض وهو يلهث في رعب....

*****

"ابن النفيس"

وقف الفارس "شهاب الدين" خارج دكان الحداد "حسن سليمان" من الجهة الخلفية حتى لايراه أحد ثم فتح النافذة الخاصة بالمخزن التي يتركها له صديقه "حسن" غير مغلقة بإحكام حتى يستطيع أن يدخل منها متى شاء... وبعد أن فتحها أمسك بعمود من الحديد مثبت أفقيا فوق النافذة بكلتا يديه قبل أن يدفع بجسده في سرعة وخفة إلى داخل الدكان ليسقط داخله على قدميه في هدوء... ثم اعتدل وسار داخل الدكان باحثا عن الحداد وهو يقول: أتمنى أن تكون قد انتهيت...

وما إن خرج من باب المخزن حتى وجد صديقه "حسن" الحداد ملقى على الأرض وقد أغشي عليه وهو يمسك بطنه وقد ضم ركبتيه ناحية صدره... فاندفع نحوه في سرعه وهو يقول: بسم الله... ماذا حدث... "حسن"؟!!! هل أنت بخير؟!!!

ولكن "حسن" لم يرد له جوابا... فأخذ "شهاب الدين" يقلبه يمنة ويسرة عله يجد سببا لفقدانه الوعي ولكنه لم يجد شيئا مريبا... ثم أمسك بيديه اللتين يضعهما على بطنه فوجد فيهما طفح جلدي غريب الشكل...

ثم بدأ "حسن" في التأوه وهو يقول في ضعف: بطني... بطني... أنقذني يا "شهاب الدين"....

فقال له "شهاب الدين" : اطمئن يا صديقي... لن أتركك أبدا...

وحمله "شهاب الدين" على كتفه وخرج من الباب الأمامي غير مبال بأن يراهما أحد... ثم وضعه على صهوة فرس الحداد المربوط خارج الدكان ثم قفز ليجلس على الفرس خلف جسد الحداد ثم ضرب بطن الفرس بقدميه ليحثه على الانطلاق قبل أن يقول: هيا... هيا...

فانطلق الفرس سريعا... وعقل الفارس "شهاب الدين" يحاول أن يفكر في سبب منطقي لحالة صديقه الحداد ولكن دون جدوى حتى وصل إلى بيت أنيق وسط مزرعة قريبة من سوق المدينة... فاخترق "شهاب الدين" المزرعة بجواده حتى اقترب من المنزل فجذب عنان فرسه في قوة حتي يتوقف ثم قفز منه سريعا وأمسك بجسد صديقه الذي ما زال فاقدا لوعيه واقترب من الباب وطرقه ثلاث مرات متفرقة ثم مرتين متتاليتين... وماهي إلا لحظات حتى فتح الباب شيخ كبير لحيته بيضاء طويله قد بدت على وجهه علامات التقدم في السن وبدأ ظهره في الانحناء قليلا....

وما إن رءاه "شهاب الدين" حتى قال: سيدي "ابن النفيس"... إني أحتاج إلى معونتك بشدة...

أفسح له العالم الجليل "ابن النفيس" الطريق ببطء وهو يتكئ على عكازه قبل أن يقول: تفضل يا "شهاب" يا ولدي... ما الذي حدث؟!!!

دخل "شهاب الدين" وهو يحمل صديقه "حسن" الحداد ووضعه أرضا

في رفق قبل أن يعتدل ويقول للعالم "ابن النفيس" : هذا هو صديقي الحداد "حسن سليمان" دخلت عليه الدكان لأجده مغشيا عليه ممسكا ببطنه ويبدو أنه يتألم...

بدا الاهتمام على وجه "ابن النفيس" وهو يتقدم ناحية الحداد وينحني ليفحصه وهو يقول: هل يوجد شئ على جلده؟!!!

أجاب "شهاب الدين" في سرعة: نعم... هناك نوع غري....

قاطعه صوت قادم من خلفه يقول: نوع غريب من الطفح الجلدي يظهر على يديه وجلد بطنه... أليس كذلك؟!!!

التفت "شهاب الدين" في سرعه وتحفز لمصدر الصوت وهو يمسك بمقبض سيفه إلا أن "ابن النفيس" وضع يده على كتفه في سرعة وهو يقول: اطمئن يا ولدي... هذا هو الطبيب "مالك البصري" الذي حدثتك عنه من قبل....

اقترب الطبيب "مالك" بهدوء حذر من "شهاب الدين" قائلا: لقد رأيت مثل حالة صديقك هذا العشرات منذ الصباح وهم كلهم يعانون من نفس الأعراض...

قطب "شهاب الدين" حاجبيه قبل أن يقول في استغراب: العشرات؟!!!!

أجاب الطبيب "مالك" في سرعة: نعم... وحتى الآن لا نعلم ماهية هذا المرض العجيب سريع الانتشار... وما أعطيه لهم هو مجرد مسكن

للآلام وما أن ينتهي مفعوله حتى تعاودهم الآلام الشديدة في منطقة البطن كما أن هذا الطفح الجلدي لا يتوقف ويستمر في الانتشار في باقي الجسد...

نظر الفارس "شهاب الدين"إلى العالم "ابن النفيس" قائلا: وما رأيك أنت يا سيدي؟!!!

تنهد العالم "ابن النفيس" وقال: الحقيقة أني لا أعلم هذه المرة السبب الحقيقي يا ولدي... ربما يكون تأثير قرصة حشرة ما أو طعام أو شراب ملوث أو حساسية تجاة شئ ما...

رد "شهاب الدين" وهو يقول: ولكن عند تشابه هذه الأعراض عند كل هؤلاء الناس يجب أن نبحث عن شئ مشترك بينهم...

قال الطبيب "مالك" في سرعة: هذا ما كنت أفكر فيه أيضا حتى أني سألت جميع من فحصتهم عن إذا كانوا قد تناولوا شيئا غريبا فأجابوا جميعا أنهم تناولوا فطورهم الطبيعي الذي يبتاعونه من سوق المدينة...

بدا التفكير على "شهاب الدين" وهو يعيد الجمله ببطء: فطورهم الذي يبتاعونه من سوق المدينة...

ثم قال في سرعة: ثمار "عدنان الكوفي" الجديدة...!!!!

قال العالم "ابن النفيس" في استغراب: ثمار جديدة؟!!!

رد الفارس "شهاب الدين" في سرعة: نعم... ثمار جديدة باعاها له تاجر من خارج المدينة وأمره أن يبيعها للناس بثمن بخس...

ثم نظر في تأثر إلى صديقه الحداد قائلا: وقد أخبرني "حسن" أنه قد تناول منها واحدة هذا الصباح....

تساءل الطبيب "مالك": ولكن لو كانت هذه الثمار فاسدة لأحدثت ألما في البطن فقط... ولما أحدثت هذا الطفح الجلدي العجيب....

قال العالم "ابن النفيس": على رسلكما... من المحتمل أن يكون السبب الحقيقي شيئا آخر....

قال "شهاب الدين" في حزم: أنت على حق يا سيدي... ولهذا يجب علي أن أتأكد....

قال الطبيب "مالك" في حيرة: وكيف ستفعل ذلك؟!!!

رد "شهاب الدين": لا تقلق... عندي وسائلي... أطلب منك فقط أن تعتني بصديقي "حسن" حتى أعود....

ثم التفت إلى العالم "ابن النفيس" قائلا: هل عندكم يا سيدي ترياق مطهر للمعدة؟!!!

رد العالم "ابن النفيس": نعم يا ولدي ولكن...

قاطعه "شهاب الدين" قائلا: معذرة يا سيدي ولكني أطلب منك أن

تعطي "حسن" جرعة منه مع جرعة مسكن الطبيب... كما أرجو منك أن تعطيني كاشف السموم الذى اخترعته من قبل..

ذهب "ابن النفيس" ناحية رف له بالجوار من باب القبو استقرت عليه بعض الزجاجات وتناول واحدة صغيرة منهم وأعطاها إلى "شهاب الدين" وهو يقول: أتعتقد حقا أن ثمار "عدنان الكوفي" هي السبب؟!!!

اتجه "شهاب الدين" نحو الباب في حزم وهو يقول: هذا ما سأتأكد منه الآن....

*****

"الصفقة"

دخل زعيم التجار "عدنان الكوفي" إلى داخل متجره مسرعا وهو يلهث... وارتفع صوته وهو ينادي: أصمعه... أصمعه... أين أنت أيها الأبله؟!!!...

استيقظ "أصمعه" الذي كان يستند بظهره إلى جدار بداخل المتجر فجأة من نومه وفتح عينيه في سرعه وقفز من مجلسه ليقول: أ...أأ..أنا هنا يا سيدي....

اندفع نحوه "عدنان الكوفي" وهو يقول: اسمعني جيدا... أريدك أن تأخذ جميع المساعدين وتذهبوا إلى مكان المخزن السري الذي نخزن فيه الثمار الجديدة وتأكدوا... دائما... أنه لا يتبعكم أحد ثم ضعوا صناديق الثمار على عربتين ثم اسلكوا الطريق الخلفي في المدينة دون أن يراكم أحد... حتى تصلوا إلى خارج البوابة الجنوبية للمدينة وتنتظروا هناك قبل منتصف الليل....

قاطعه "أصمعه" قائلا: ولماذا كل هذا ياسيدي؟!! أهناك سوق جديد؟!!!

صرخ "عدنان الكوفي": أنفض عن عينيك هذا النوم وعن عقلك هذا الغباء والبلاهة ولا تقاطعني مرة أخرى...

ثم أكمل "عدنان الكوفي": عند منتصف الليل تماما سيأتيك كبير تجار دمشق "فهد الدمشقي"... ستسلمه الثمار دون أن تتفوه بكلمة وتتركه ينصرف بها....

قال "أصمعه" في استغراب: ينصرف بها؟!!! ولماذا ياسيدي؟؟؟

رد "عدنان الكوفي" بنفاذ صبر: نعم ينصرف بها... فقد ابتاع مني كل الثمار...

رفع "أصمعه" حاجبيه في اندهاش قائلا: كل الثمار؟!!!!

قال "عدنان الكوفي": نعم كلها وإياك إن سألك أن تخبره بمن ابتعناها منه....

قال "أصمعه" في خضوع: كما تأمر يا سيدي....

قال له "عدنان الكوفي" في قوة: هيا إذهب الآن وافعل ما أمرتك به...

تساءل "أصمعه" في تعجب: الآن؟!!!... ولكن الوقت مازال مبكرا حتى منتصف الليل...

ظهر القلق على وجه "عدنان الكوفي" وهو يتذكر هذا الشخص الغريب الذي كان يسأله عن الثمار في المقابر قبل أن يقول: نعم... ولكني لا أريد أن تبقى الثمار بداخل المخزن... فمن المحتمل أن يعرف شخص ما مكانها فيسرقها...

قال "أصمعه" : شخص ما؟!! ومن هذا الذي يستطيع أن يسرق شيئا من زعيم التجار؟!!!

صرخ "عدنان الكوفي" في وجهه وقال: لا تناقشني وهيا أغرب عن وجهي ونفذ ما أمرتك به... تراجع "أصمعه" في خوف وخرج من متجر زعيم التجار وبدأ في التحرك لينفذ ما أمره به سيده... وبينما هو يسير تجاه المكان الذي يستريح فيه مساعدو زعيم التجار إذا برجل يقترب منه يلبس عباءة يغطي بها رأسه ولا يظهر من وجهه شئ... فتوقف "أصمعه" عن المسير حتى دنى هذا الرجل من أذنيه ليقول له بهمس: هل لك بصفقة تكسبك مائتي دينار ذهبي؟!!!!

ارتفع صوت "أصمعه" مندهشا وهو يقول: مائتا دينار؟!!!

قال له الرجل بنفس الهمس: أخفض صوتك... لا أريد أن يسمعنا أحد...

أخفض "أصمعه" رأسه في بلاهة وهو يقول بصوت خفيض: وكيف أحصل على هذه الدنانير؟!!!

رد الرجل: أريد أن أحصل على ثمار زعيم التجار الجديدة لأبيعها خارج البلاد...

رفع "أصمعه" رأسه في سرعة وهو يقول بصوت عال: ماذا تقول؟!!!!

قال له الرجل في هدوء: لا تقلق لن أخبر أحدا... وليس من الضروري أن يعلم زعيم التجار بشئ...

عاد لأصمعه بعض هدوءه وابتلع ريقه في خوف قبل أن يقول: ولكن سيدي قد باع الثمار بالفعل لكبير تجار دمشق وسنسلمها له عند منتصف الليل....

سأله الرجل في هدوء: وكم تبلغ كمية الثمار المتبقية؟

رد "أصمعه": تقريبا ثلاثمائة صندوق....

قال له الرجل مبتسما: إذا أحضر لي عشرين فقط ولن يستطيع كبير تجار دمشق أن يكتشف هذا النقص البسيط حتى يصل إلى بلاده وإن سألك زعيم التجار قل له أنك أعطيته جميع الثمار ولاتعلم شيئا عن أي نقص... وعندها تصبح المائتا دينار ملكا لك وحدك...

التمعت عينا "أصمعه" في جشع وقال: حسنا... حسنا... قابلني عند مدخل البوابة الجنوبية قبل منتصف الليل بساعة وسأعطيك الثمار...

قال له الرجل وهو يبتعد عنه: حسنا... وأنا سأعطيك الدنانير وقت حصولي على الثمار....

ابتسم "أصمعه" في جشع وانطلق يجمع مساعدي زعيم التجار والتفت إليه الرجل ينظر إليه وهو يبتعد بعيدا قبل أن يبتسم في ثقة ويرفع رأسه ناحية القمر المتوسط كبد السماء لتلتمع عينه الزرقاء بضوء القمر...

*****

"الصندوق"

وصل "أصمعه" مع مساعدي زعيم التجار إلى مخزنه السري وبدأوا في تحميل صناديق الثمار على عربتين كما أمرهم زعيمهم... وتحركوا في خفة وهدوء وأمر "أصمعه" أن يجلس أحد المساعدين في العربة الثانية ووجهه في عكس اتجاه الطريق ليرى إن كان يتبعهم أحد... ثم ساروا في الطرق الخلفية للمدينة حتى وصلوا إلى خارج أسوار المدينة ناحية البوابة الجنوبية قبيل منتصف الليل بساعة واحدة....

وفجأة قال "أصمعه" : ماهذا؟!!! هناك صندوق مفقود.....!!!!

تجمع حوله المساعدون وهتف أحدهم: أأنت واثق من هذا؟!!!

رد "أصمعه" : بالطبع... كان هناك صندوق وضعته بنفسي في مؤخرة العربة الأولى في هذا الموضع وهو غير موجود الآن... لابد أنه سقط من العربة دون أن نشعر به...

نظر المساعدون إلى بعضهم البعض قبل أن يقول أحدهم: ولكني يا سيدي كنت أجلس في العربة الثانية ولم أر شيئا يسقط من العربة الأولى...

قال "أصمعه" دون أن ينظر إليهم: وأين ذهب إذا؟!!!!

وأخذ يتصنع "أصمعه" أنه يبحث حول العربتين عن الصندوق الضائع

قبل أن يقول: إذا علم بهذا زعيم التجار ستكون نهايتنا قد كتبت على يديه....

تبادل المساعدون نظرات الخوف قبل أن يقول أحدهم: وماذا نفعل؟!!!

قال "أصمعه" في سرعة: يجب عليكم أن تعودوا أدراجكم وتبحثوا عن الصندوق في الشوارع التي سرنا بها قبل أن يجده أحد قبلنا... وأنا سأنتظر كبير تجار دمشق هنا مع العربتين...

اندفع المساعدون يهرولون عائدين بحثا عن الصندوق المفقود وبقي "أصمعه" وهو يقول بصوت لا يسمعه إلا هو: والآن أستطيع أن أحصل على المائتي دينار دون أن يراني أحد....

وبدأ "أصمعه" في إخراج عشرة صناديق من كل عربة ووضعهم جانبا ووقف ينتظر الرجل الغريب الذي سيشتري منه الثمار...

وماهي إلا لحظات حتى وجد الرجل المرتدي العباءة قادما من بعيد راكبا فرسه... حتى اقترب منه وهبط من فرسه أمامه فقال له أصمعه: ها هو أنت... هل أحضرت المال؟!!!

أخرج الرجل كيسا من النقود من داخل عباءته دون أن يتكلم وقذفه في الهواء عاليا نحو "أصمعه" فقفز "أصمعه" عاليا وهو يمد يده ليمسك بكيس النقود... وفجأه... وجد نفسه يدفع إلى الخلف بقوة ليسقط أرضا والرجل الغريب يجثم فوق صدره بقوة...

فبادره أصمعه في ألم وقال: ماذا تفعل يا رجل؟!!!

خلع الرجل عباءته بحركة واحدة ليكشف عن وجهه أمام "أصمعه" ويقول له في صرامة وبصوت ضخم: من أين أتيتم بهذه الثمار؟!!!

رد "أصمعه" في خوف: ولكن... ولكنك... ككك... كنت تريد أن...

قاطعه الرجل قائلا وهو يضغط على عنقه: أجب عن سؤالي...

قال "أصمعه" والكلمات تخرج من فمه بصعوبة: زعيم التجار... رجال غرباء... ملثمين... عيونهم ضيقة... خارج المدينة... لا أعلم...لا أعلم....

قال الرجل وهو ينظر إلى "أصمعه" نظرة حاده: ولماذا يريد أن يبيعها لكبير تجار دمشق بهذه السرعة؟!!!!

قال "أصمعه": لا أدري... لا أدري...

ضغط الرجل أكثر على عنقه فسعل "أصمعه" قبل أن يقول: حسنا... حسنا... ربما يكون بسبب الثقب...

خفف الرجل من الضغط على عنق "أصمعه" قبل أن يقول: أي ثقب؟!!!

قال له "أصمعه" وهو يلهث: الثقب الذي وجدته موجودا في جميع الثمار... ربما... ربما يظن زعيم التجار أن حشرة ما تسببت في هذا أو شيئا من هذا القبيل فأراد أن يتخلص منها...

قال الرجل: حسنا...هذا ما أردت أن أسمعه منك... والآن... فلتذهب إلى أحلامك...

وأخرج من جيبه قارورة فتحها وقربها من أنف "أصمعه" الذي وما إن استنشقها حتى غاب عن وعيه...

فقام الرجل من فوق "أصمعه" وذهب ناحية الصناديق وأخرج ثمرة وفحصها جيدا فوجد بها ثقبا صغيرا فأخرج ثمارا أخرى فوجد فيها نفس الثقب الصغير في نفس الموضع... فأخرج خنجره وقسم ثمرة منهم نصفين...

ثم دس يده في جيبه وأخرج منه زجاجة كاشف السموم التي أعطاه إياها العالم "ابن النفيس" وجلس ليسكب بضع قطرات من سائلها الشفاف داخل الثمرة بحرص وماهي إلا لحظات حتى تلونت الثمرة بلون أخضر غريب... فنهض وهو يقول: كنت متأكدا من هذا... تم حقن جميع الثمار بسم ما لينتشر هذا الوباء في المدينة... يجب أن أمنع انتشار مثل هذه الثمار حتى في دمشق....

وبدأ في حمل الصناديق ليضعها على العربة مرة أخرى ثم قام بسحب العربتين بعيدا عن سور المدينة....

*****

"السم"

طرق الفارس "شهاب الدين" باب العالم "ابن النفيس" ثلاث طرقات متفرقة ثم طرقتان متتاليتان ففتح له الطبيب "مالك" الباب وهو يقول له: ماذا وجدت؟!!!

دخل "شهاب الدين" إلى داخل المنزل وأغلق الباب خلفه في إحكام وهو يقول: كما توقعت... جميع الثمار مملوءة بسم ما...

قال الطبيب: إذا يجب على جميع المرضى أن يتناولوا جرعات مكثفة من مطهرات المعدة حالا...

سأله "شهاب الدين" في قلق: كيف حال "حسن"؟!!!

رد عليه الطبيب: لا تقلق حالته كما هي... لكني أظن أنه سيتحسن بإذن الله بعد جرعات المطهر المكثفة ...

قال "شهاب الدين": نأمل من الله ذلك...

ظهر العالم "ابن النفيس" من خلف الطبيب وهو يقول: صدق حدسك كالمعتاد إذا يا "شهاب"....

التفت إليه "شهاب الدين" وهو يقول في تواضع: أظن ذلك يا سيدي وإن كنت أتمنى ألا أكون مصيبا...

قال له "ابن النفيس" مستغربا: ولم؟!!

قال "شهاب الدين": لأن بسؤالي "عدنان الكوفي" و "أصمعه" علمت أنهما قد اكتشفا أن الثمار بها شئ وقد أجمعا الإثنان أن الثمار باعها لهما رجال ملثمون لهم عيون ضيقة... وهذا يعني أن هناك من يريد أن ينشر المرض بين سكان مدينة بغداد... ولهذا أمروا زعيم التجار أن يبيعها بثمن بخس حتى يشتريها منه جميع الناس...

قال الطبيب: إذا وما العمل؟!!!

قال "شهاب الدين": لقد توليت أمر الثمار ولكن يبقى أمر المرضى... كيف سنتأكد من تناول جميعهم الجرعة المكثفه من المطهر؟!!!

قال "ابن النفيس": أستطيع أن أضيف بعض المركبات الكيميائية للمطهر فأجعله يذوب في الماء... وبهذا نستطيع أن نضيفه إلى الماء الموجود في خزان المياه الذي يصل بالماء إلى جميع أطراف المدينة...

قال الطبيب في حماس: فكرة رائعة... ولن يضير غير المرضى أي شئ من تناولهم المطهر...

ابتسم "شهاب الدين" قبل أن يقول: هذا جيد... والآن اسمحا لي فهناك أمر أخير أود أن أقوم به...

ثم انصرف سريعا وهو يبتسم...

*****

"الشهب"

بدأ "أصمعه" يستعيد وعيه وهو يشعر أن هناك رجلا ما يحادثه... وماهي إلا لحظات حتى استطاع تبين ملامح هذا الرجل فنهض سريعا وهو ينظر إلى الرجل الذي ماكان إلا كبير تجار دمشق "فهد الدمشقي" وسمعه يقول له: أتسمعني الآن؟!!!!

قال "أصمعه" في تردد: ن..نن..نعم... أسمعك...!!!

قال "فهد الدمشقي": أين ثماري أيها الأبله؟!!!

نظر "أصمعه" حوله في حيرة قبل أن يقول في بلاهة: لا أدري...

احمر وجه "فهد الدمشقي"وهم أن يضربه إلا أنه رأى زعيم تجار بغداد "عدنان الكوفي" قادم من بعيد ومعه مساعديه... وما إن اقترب حتى سأل كبير تجار دمشق: ماذا حدث؟!

رد "فهد الدمشقي"في غضب: تسألني ماذا حدث؟!!! اسأل خادمك الأبله...

قال "عدنان الكوفي" وهو يخاطب "أصمعه": ماذا حدث؟!!! لقد أرسلت المساعدين ليبحثوا عن صندوق ضائع حتى وصلوا المخزن ولم يجدوه فجاءوني ليخبروني فأتيت بنفسي لأبحث عنه...

ارتفع صوت أحد المساعدين في خوف: وأنت تعلم يا سيدي صدقنا... نقسم لك مرة ثانية أننا لم يسقط منا شيئا...

قال "أصمعه" في تردد وبصوت مبحوح وهو ينظر بجانب عينه إلى صرة الأموال التي قذفها له "شهاب الدين" والملقاه الآن على الأرض بجانبه: جاءني... جاءني رجل غريب... وهجم علي و... و... ولا أستطيع أن أتذكر...

اندفع "عدنان الكوفي" يسأله في سرعه: كيف كان يبدو؟!!

قال "أصمعه" وهو يحاول أن يتذكر: لا أستطيع التذكر جيدا... ولكن... نعم... كانت عيناه غريبتين أحداهما زرقاء والأخرى....

قاطعه "عدنان الكوفي" وهو يقول في خوف: بنية اللون... أليس كذلك....

أومأ "أصمعه" رأسه في خوف....

اندفع "فهد الدمشقي" يقول في غضب شديد: ماهذا الذي تقولون؟!!!... أين ثماري؟!!!... أين هي يا "عدنان"؟!!!

وفجأة....

التمع في السماء سهم مشتعل قادم من داخل أسوار المدينة وحلق في السماء قليلا حتى سقط خلف تلة صغيرة بالقرب منهم... وما إن سقط حتى اشتعلت الأرض من خلف التلة بنيران عالية فاندفع الجميع

ليروا ماذا يوجد خلف التلة وتحرك وراءهم "أصمعه" بعد انحناءة سريعة ليأخذ الصرة من على الأرض ويخفيها بين طيات ثيابه... وما إن وصلوا حتى تسمروا في مكانهم وهم ينظرون إلى النيران في ذهول...

كانت الثمار التي يبحثون عنها ملقاة على الأرض وقد اشتعلت بها النيران بصورة كثيفة لا يجرؤ أحد أن يقترب منها... و بدأت الثمار في التفحم ورأى الجميع النيران وهي تخبو تدريجيا بعد أن احترقت جميع الثمار وهي تشكل هيئة شهاب له ذيل طويل....

وفي نفس الوقت التمعت السماء بشهب عديدة تسقط على الأرض فلم يستطع أحد منهم أن يبرح مكانه من الخوف حتى خبت النيران وتوقف تساقط الشهب...

ومن بعيد وقف الرجال الغرباء يشاهدون النيران وهي تخبو ثم نظر كبيرهم إلى السماء قبل أن يشير إلى رجاله للانصراف...

ثم تبعهم كبيرهم على صهوة فرسه حتى اختفوا في ظلام الليل.

(تمت بحمد الله)

العدد الثالث

"الجاسوس"

"الجنود"

ارتفعت شمس الظهيرة إلى سماء "بغداد" لتعلن عن انتصاف نهار يوم دافئ من أيام الشتاء... وبدأ احساس الدفء يغمر أنحاءها... وامتدت أشعة الشمس لتغمرهؤلاء الجنود العشرة الواقفين أمام ساحة قصر الخليفة...

وأخذت حرارة أشعة الشمس في الازدياد تدريجيا... ومعها بدأ الجنود العشرة في التأفف والتذمر...

قال أحدهم في سخط: ما هذه الدروع السخيفة التي أمرنا قائد الجنود بارتدائها؟!!!

قال له زميله الذي بجواره: أنت تعلم أنه قد أحضرها من بلاد الفرنجة خصيصا لهذه المناسبة يا " كعب"...

رد "كعب": أعلم هذا جيدا يا "عاصم"... ولكني لا أفهم سر هذه الخوذة الحمقاء التي تغطي وجهي كله!!!... أكاد لا أستطيع التنفس...

قال له "عاصم": وأنا أيضا ولكنك تعلم أوامر قائد الجنود... وتعلم أيضا أهمية هذا اليوم عنده وعند رئيس الوزراء...

قال كعب في غضب وهو يلوح بسبابته أمام وجهه: الشئ الوحيد الذي أعلمه أنهم يجلسون في الظل ليأمروا وينهروا ولا يجبرون مثلنا على

ارتداء مثل هذه الأثقال الحديدية التي تكاد أن تغلي منها أجسادنا تحت حرارة الشمس...

رد عليه "عاصم" قائلا في خوف: احمد الله أنها شمس الشتاء... لا الصيف...

ثم تلفت حوله في قلق قبل أن يكمل: و اخفض صوتك... قد يأتي القائد "علاء الدين" في أي لحظة...

انتفض "كعب" في عنف وقال: فليأتي أو لا يأتي... لقد سئمت حياة العبودية تلك....

ثم تحرك في غضب وأعلى صوته ليسمعه بقية زملائه: والذي ننناله في النهاية بضعة دراهم يلقونها في وجوهنا... وجوهنا!!!!!.... نحن الذين نذب عن وجوههم بصاق العامة مما يأمروننا أن نفعله بهم....

بدأ زملاؤه في التجمع حوله وهو لايزال مستمرا في صراخه ويقول: ما تفعله هذه الدريهمات إن أراد أحد من العامة أن ينتقم لنفسه أو لأخيه أو لأبيه... لن تغني عنا شيئا....

بدأت فجأة وجوه زملائه في الامتقاع وعيونهم ترتعد خوفا وهم ينظرون إلى نقطة ما خلف "كعب" والتي لم يستطع أن يتبينها أو يتبين ما تحمله ملامحهم من أمرات الذعر من تحت خوذاتهم فانطلق يكمل: والآن... يأمرنا أن نرتدي هذه الحدائد القذرة على وجوهنا منذ فجر اليوم لنستقبل وفدا لا نعلم متى يأتي... هذا هو عين العبودية ولن أقبل أن....

قطع "كعب" كلامه حين رأى زملاؤه يتراجعون من أمامه... فصرخ فيهم قائلا: مابكم؟!!!

فأتاه الرد من خلفه في قسوة: لا شئ بهم مقارنة بما سيكون بك حين أفرغ منك.

نظر "كعب" فجأة إلى المتحدث من خلفه ليجد قائد الجنود "علاء الدين" ينظر له في غضب فتراجع إلى الخلف بدوره وهو يتلعثم في كلامه: سسيدي....!!!!

قال القائد "علاء الدين " في قوة: لولا أني ذاهب الآن لإستقبال الوفد عند البوابات الشرقية لأريتك معنى العبودية الحقة أيها العبد...!! قال "كعب" في خضوع وهو يخفض رأسه: أعتذر يا سيدي...أشار له القائد "علاء الدين" بإصبعه وهو يقول: لا تظن أنك نجوت... فحسابي معك سيكون بعد فراغي من قدوم هذا الوفد...

ثم قال في شراسة وهو يقترب من وجهه: ولسوف تندم على ما قلته... حرفا حرفا...

ابتلع "كعب" ريقه في خوف ولم ينطق بشئ من فرط الرعب الذي انتابه بعد أن نطق قائده آخر كلمات قالها ببطء مخيف...

نظر القائد "علاء الدين" إلى باقي الجنود وقال لهم معليا صوته: أريدكم أن تصطفوا على جانبي مدخل بوابة القصر ولا تسمحوا لأحد أن يقترب من محيط بوابة القصر حتى يأتي الوفد....

ثم نظر إلى "كعب" بجانب عينيه وهو يقول: وإن رأيت واحدا منكم يلتفت أو يقف بطريقة لا تعجبني فمصيركم... جميعا... سيكون أسوأ مما سأفعله بذلك العبد...!!!

نظر الجنود إلى "كعب" في مزيج من الشفقة والرعب قبل أن يندفعوا للاصطفاف كما أمرهم قائدهم...

نظر لهم القائد "علاء الدين" نظره نارية أخيره ثم انصرف بعيدا...

وبعد أن اطمأن الجنود لابتعاد قائدهم قال أحدهم لكعب: أرأيت؟!!!.... هذا ماكنا نخشاه عليك...

وقال "عاصم : ماذا ستفعل يا "كعب"؟!!!!

قال "كعب" في أسى: وماذا عساي أن أفعل؟!! وإلي أي مكان أذهب؟!!!

قال له "عاصم" : سنحاول أن نعتذر لك عند القائد حتى يصفح عنك...

قال "كعب" : تقصد تتذللون له...

قال "عاصم" : أترغب حقا أن تخضع لعقابه؟!!!

سرح "كعب" بخياله في محاولة لتوقع ما سيحل به من عقاب القائد... وبدأ يشعر بالرعب وهو يتخيل القائد "علاء الدين" وهو يأمر زملائه بتعذيبه كما كان يأمره هو بفعل نفس الأفعال مع من يغضب عليه من مساكين "بغداد"....

فانتفض في عنف وهو يقول في رعب: لا... لا... لن أستطيع أن تحمل هذا...

وبدأ "كعب" يتراجع في خوف وهو مازال يردد كلمة "لا....لا..."

قال له "عاصم": أين تذهب... لا تترك مكانك فيزداد عليك العقاب من القائد....

ولكن "كعب" استمر في تراجعه وهو يردد "لا"... فنظر الجنود إلى بعضهم البعض في قلق و "عاصم" يصرخ به: يا "كعب" ارجع... سيجدك القائد عاجلا أو اجلا... كما أنه سيجازينا جميعا جراء فعلتك تلك...

وقف "كعب" فجأة... ونظر إلى "عاصم" في رعب ثم هرول مسرعا بعيدا عن القصر....

*****

"العربة"

تحرك البطل الفارس "شهاب الدين" في طرقات مدينة بغداد في بطء والتي بدت خالية من الناس بعد تجمعهم وتجمهرهم عند بوابة المدينة لمشاهدة الوفد القادم... وصوب وجهته تجاه دكان الحداد "حسن سليمان" واتجه إلى خلف الدكان ووقف تجاه النافذه الخلفية للقبو وعالج مزلاجها بخفة ثم أمسك القضيب الحديدي بأعلاها ودفع جسده ليسقط داخل المخزن الموجود بالقبو....

ثم بدأ في المسير داخل المخزن وصعد بضع درجات إلى أعلى ليجد صديقه "حسن" وقد عكف على إصلاح شئ ما على طاولته... فرفع "شهاب الدين" صوته قائلا: كم أحمد الله أنك لست ممددا على الأرض....

انتفض جسد "حسن" ونظر خلفه فجأه في رعب... ثم علا صوته في الدكان بالضحك وهو يقول: لم أعتد حتى الآن أن يخرج لي صوت من داخل الدكان....

ثم تحرك ناحية "شهاب الدين" وهو يقول مازحا: أم تراه شبح رجل دفن من قبل في القبو....

نظر له "شهاب الدين" في دهشة مصطنعة وهو يقول: وهل تدفن الرجال في قبوك أم تظن أن الأشباح موجودة حقا؟!!!.

قهقه "حسن" بصوت عال قبل أن يقول: لا هذا ولا ذاك... غير أني أستعجب كيف تعرف طريقك بهذه العصابة على عينيك؟!! أليس من المفترض أنك أعمى؟!!!

قال "شهاب الدين": هذا ما يراه الناس... وهذا من إبداعات علماء الصين... فهذه العصابة ماهي إلا مادة مثل الزجاج الملون الداكن تجعلني أرى جيدا من خلفها ويظن الناس أنها تحجب عيني...

قال "حسن": حسنا... أريد منك أن تعرفني عليهم...

قال "شهاب الدين": من تقصد؟!!!

قال "حسن": علماء الصين!!!!

ضحك "شهاب الدين" حتى جلس على الأرض من كثرة الضحك وهو يقول: وفي ماذا تحتاجهم وأنت أبدع من عرفت في التحكم بالحديد وصناعته؟!!!...

قالها وهو يشير إلى منضدة "حسن" فتنهد "حسن" وهو ينظر إلى ما على المنضدة في أسى قبل أن يقول: صدق أو لا تصدق أن سائق عربة رئيس الوزراء شخصيا يظن هذا أيضا...

قال "شهاب الدين": العلقمي؟!!!

قال "حسن" وهو يومئ برأسه: نعم... هو عندي منذ الشروق... يريد

مني أن أصلح عربة سيده قبل الظهيره وها قد انتصف النهار ولم أنته بعد...

بدأ الاهتمام يظهر على وجه "شهاب الدين" وهو ينصت إلى "حسن" الذي أكمل متذمرا: يريد إصلاحا سريعا ولا يدفع إلا قليلا... هذا والله هو عين الظلم...

ثم التفت إلى "شهاب الدين" وهو يقول: لوددت أن أزيدها عطلا على عطلها لا أن أصلحها...

نهض "شهاب الدين" من على الأرض ووقف بجانب "حسن" وربت على كتفه وهو يبتسم ثم قال: عندى فكرة أخرى....

*****

"الوفد"

انطلق القائد "علاء الدين" مسرعا بفرسه إلى البوابات الشرقية لمدينة "بغداد"...

كان جسده ينتفض بعنف من جراء إسراع فرسه... كما كان عقله ينتفض أيضا بعنف وهو يتذكر ما حدث منذ أيام عند بحثه عن كنز "النورس"...

– من هذا الشخص الذي حال دون حصولي على الكنز بعد أن ظفرت بـه؟!!!... لم أستطع تبين ملامحه بـدقة... وهـذا ما يثير سخطي بحق....

– فأنا القائد "علاء الدين" أمهر جنود الخلافة... كان يشار إلي بالبنان في قوة الجسد وسرعة البديهة ومهارة التعامل بالأسلحة... يأتي بعد كل هذا... هذا الشئ ليفقدني الوعي بضربة واحدة ويحرمني الكنز الـذي عثرت عليه؟!!!... أم أن "كـان" هو الوصف الواقعي لحالتي الآن؟!!!!

– لا... لا... لن أسمح له أن يعطي لرئيس الوزراء "العلقمي" سببا لإنزالي منزلا دون منزلتي الآن... يكفيني مالقيت من تقريع من "العلقمي" يومها... سأبحث عنه وإن كان هذا آخر عمل لي أعمله قبل مماتي...

وصل القائد "علاء الدين" عند هذا الحد في تفكيره وهو يكاد يشيط غضبا إلى مدخل البوابات الشرقية فهدأ من سرعة فرسه قليلا وهو يمشي في الطريق الذي أخلاه جنوده ليمر فيه الوفد...

واكتظ أهالي مدينة "بغداد" على جانبي الطريق وهم يشرئبون بأعناقهم ليحاولوا أن يبصروا قدوم الوفد....

وبدأ الوفد في الظهور من بعيد....

واتسعت عيون العامة في دهشة وتدلت فكوكهم السفلية في بلاهة وهم يتطلعون إلى الوفد الذي بدأ يخطو أولى خطواته في "بغداد" بعد أن عبر البوابات....

كان الوفد مهيبا بحق....

كان على غير عادة وفود الدول والممالك في ذاك الزمان والتي كانت يتقدمها دائما العازفون والراقصات اللاتي ينثرن الدراهم والدنانير الذهبية لجذب إنتباه العامه ولإلهائهم.

فلقد تقدم الوفد مجموعة مكونة من أربعة رجال من الضخامة بمكان أن جعلت العامة يشرئبون بأعناقهم إلى الأعلى لينظروا إلى رؤوسهم التي تغطت جلها بالفراء الذي ينسدل على أكتافهم عدا أعينهم الضيقة التي ظهرت فوق الكمامات الجلدية التي تغطي أنوفهم وأفواههم.

وكان من خلفهم ستة رجال قصار القامة يبدو عليهم أنهم من بلاد

ما وراء النهر بشعرهم الأسود الناعم المنسدل على عيونهم وشفاههم الدقيقة... يحمل كل واحد منهم صندوقا ذهبيا ضخما لا يتناسب مطلقا مع حجم أجسادهم...

كل هؤلاء كانوا يتقدمون عشرة فرسان يرتدون خوذات عجيبة ذهبية يخرج من جانبيها قرنان ذهبيان مقوسان كناب الفيل يمتدان إلى أعلى وتتوسط خوذتهم نجمة ذهبية بارزة... وفوق أنوفهم وأفواههم نفس الكمامات الجلدية....

تحرك الوفد في بطء مخيف نحو القائد "علاء الدين" الذي وقف أمامهم على بعد خطوات متظاهرا بالثبات ولكنه فشل أن يخفي التوتر الذي كان باديا في حركات يديه ونظرات عينيه...

بدأ القائد "علاء الدين" في الكلام قائلا بلهجة مسرحية: مرحبا بكم في عاصمة الخلافة....

ثم فتح ذراعيه قائلا: بغداد ترحب بكم....

توقف الوفد عن المسير وتقدم فارسا من العشرة بفرسه ليسير بجانب القائد "علاء الدين" دون أن يتكلم بكلمة ولكنه فقط أومأ برأسه إلى قائد الجنود قبل أن يقودا معا الوفد إلى قصر الخليفة وسط استغراب العامة واندهاشهم.

*****

"الحبر الأسود"

خرج الحداد "حسن سليمان" وهو يحمل عمودا حديديا في يده وما إن رآه سائق عربة رئيس الوزراء حتى هب من مكانه وأسرع ناحيته وهو يسأله في قلق: ألا زال أمامك الكثير من الوقت...

تجاهله "حسن" وهو يتحرك ناحية العربة ثم مدد جسده بأسفلها وبدأ في تثبيت بعض الأشياء ثم قال: أوشكت على الانتهاء...

قال له سائق العربة في توسل: أرجوك... علي العودة مسرعا قبل أن يكتشف سيدي غيابي...

أخرج "حسن" رأسه من تحت العربة ونظر إلى سائق العربة قبل أن يقول: ألم تقل لي أن رئيس الوزراء في قصر الخليفة في انتظار الوفد؟!!

قال سائق العربة في توتر: نعم... ولكنه قد يطلبني في أي لحظة...

ثم أكمل في خوف: ولو علم أن بالعربة عطل ما فقد يكلفني هذا رقبتي...

قال له "حسن" بسخرية من أسفل العربة: من أجل العطل أم من أجل السباق؟!!!...

جثا سائق العربة على ركبتيه في تضرع وأمسك بقدمي "حسن" البارز تين

من أسفل العربة قبل أن يقول: أرجوك... لا تخبر أحدا بهذا... فلو علم أني أتسابق بعربته مع أقراني فلن تكون رقبتي فقط هي الثمن... قد يصيب الأذى عائلتي أيضا...

خرج "حسن" من أسفل العربة قبل أن يقول: لا عليك... ولكن أخبرني ما هذه الخوذة الغريبة التي أراك تحملها معك؟!!!

نظر سائق العربة إلى الخوذة ثم قال: أحضرها قائد الجنود من بلاد الفرنجة وأمر جميع الجنود بارتدائها...

ثم نظر إلى "حسن" وقال في توتر: ولكن... دعك منها الآن وأخبرني... هل انتهيت؟!!!

قال "حسن" وهو ينفض الغبار عن سرواله: بقى شئ بسيط أحضره من دكاني... انتظر قليلا...

دخل "حسن" الدكان ثم التفت إلى "شهاب الدين" القابع في ركن مظلم وهو يقول: قمت بتثبيت العمود المثقوب... الآن أينما تحركت العربة ستسقط نقطة من حبر أسود كل عشرة أمتار تقريبا....

قال "شهاب الدين": حسنا فعلت يا صديقي....

سأله "حسن": لم تريد أن تعلم إلى أين يذهب "العلقمي"؟!!...

رد "شهاب الدين" قائلا: هل سمعت عن الوفد القادم اليوم؟!!

قال "حسن": نعم...

قال "شهاب الدين" : إن صدق حدسي فإن رجال هذا الوفد لا يحملون إلا شرا...

رد "حسن" : وما علاقة هذا بالعلقمي....

ابتسم "شهاب الدين" في أسى قبل أن يقول: العلقمي هو رأس الشر كما قلت لك مرارا قبل هذا...

تنهد "حسن" ثم قال: حتى وإن سلمت لك بهذا... فما يفيدك معرفة مكان العربة والعلقمي يستقبل الوفد في قصر الخليفة؟!!

قال "شهاب الدين" : أريد أن أكون مستعدا للحاق به إن أردت هذا... أما الآن فما يشغلني حقا هو لقاء هذا الوفد...

قال "حسن" وهو يبتسم: ألا زلت تريد أن تحضر اجتماعهم؟

رد "شهاب الدين" في سرعة: بلى...

قال "حسن" : أتعلم؟؟... الجنود يرتدون من اليوم خوذات جديدة أحضرها لهم قائد الجنود من بلاد الفرنجة...

رد "شهاب الدين" : ثم؟!!!

قال "حسن" : ثم إن هذه الخوذات تغطي الوجه بالكامل... ما عدا العينين أمامهما شبكة من الحديد... فإذا ارتديتها أنت فسيكون باستطاعتك أن تندس وسطهم دون أن يشعروا...

نظر له "شهاب الدين" وهو يبتسم... فأكمل "حسن" في حماس: أما عن لباسهم ودروعهم فعندي منها الكثير فهم يصلحونها عندي دائما....

ثم قال في أسى: ولكن الخوذة الجديدة ليست عندي... ولو أخذتها من سائق العربة لشك بي...

قال له "شهاب الدين": جزاك الله خيرا يا صديقي العزيز... أعطني أنت اللباس والدروع وسأرى أنا أمري في الخوذة...

سأله "حسن" في قلق: ماذا ستفعل؟!!!

رد شهاب الدين" في ثقة: لا تقلق...فثقتي في ربي كبيرة وسأجد حلا بإذن الله....

أعطاه "حسن" اللباس والدروع من خزانة في دكانه ثم قال له : في أمان الله...

فأخذهم شهاب وانطلق إلى قبو دكان الحداد ليخرج من حيث قد دخل.

*****

"كعب"

انطلق "كعب" يجري في الحقول الممتدة حول قصر الخلافة لا يلوي على شئ وكأن آلاف الشياطين تطلب أثره....

ثم بدأ جسده في التعب وصدره لايتوقف عن اللهاث فأبطأ من جريه قليلا قبل أن يقف مستندا براحة يده إلى شجرة متوسطة الطول وهو ينظر إلى أسفل محاولا أن يدخل إلى رئتيه قليلا من الهواء... ثم تذكر أنه لا يزال يرتدي الخوذة فنزعها من على رأسه في عنف ثم أمسكها بكلتا يديه ونظر لها نظرة مقت وغضب ثم ألقى بها بعيدا ونزع سيفه وألقاه في اتجاه الخوذة...

وترك جسده يهوي إلى الأرض لترتطم ركبتاه بها....

ثم تناهى إلى مسامعه صوت بعض الرجال يتقدمون إلى ناحيته فمال بجسده المنهك قليلا لينظر من خلف الشجرة... ثم بدأت عيناه في الاتساع في رعب... فالقادمون هم ثلاثة تجار كان يعذبهم هو وزميله "عاصم" في سجن الخلافة... وهو لا يزال يتذكر كلمة أحدهم عندما نظر له نظرة إصرار عجيبة وهو يقول: يوما ما ستتمنى أنك مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا... وستقبل حذائي طمعا في أن أنهي حياتك... ولن أفعل.... هذه الكلمات هزت قلبه في شدة يومها وإن كان قد أخفى هذا أمامه وأكمل التعذيب الذي أمره به قائد الجنود... ولكنه

الآن يتذكرها... بل تملأ عليه كيانه... ولا يستطيع الفكاك منها... وجسده المنهك ورعبه من عقاب القائد "علاء الدين" جعله لايستطيع حتى أن ينتبه إلى سيفه الذي ألقاه قبيل لحظات... وبدأ في التراجع في خوف مكررا كلمة "لا"..."لا"..."لا"....

توقف الرجال الثلاثة عن المسير وهم ينظرون ناحية صوت "كعب" وفجأة تسمروا جميعا في أماكنهم....

إنه "كعب"!!... قالها أحدهم وهو يشير إليه... نظر الآخران حولهم وإلى ماخلف "كعب" فلم يبصروا أحدا على مد بصرهم إلا هو فاطمأنوا أن ليس معه إلا سابق عمله وجرمه... فركظوا ناحيته في لهفة وانطلق هو في ذعر ليهرب منهم فلم تستطع قدماه المتعبتان أن تحملاه كثيرا فهوى إلى الأرض وحاول أن يقوم مرة أخرى إلا أنه وجد الثلاثة وقد أحاطوا به يحدون له النظر في غل وغضب....

قال "كعب" والذعر يملأ عينيه: ممم... مماذا... ماذا تريدون مني؟!!

نظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم البعض ثم أعادوا النظر إليه وشفاههم تحمل ابتسامة تشفي وانتقام فأمسك أحدهم برأسه وكمم فمه بيده بعد أن صرخ "كعب": لا... اتركوني... اتركو....

وأمسك الآخران بساعديه وأنهضاه من الأرض وساروا به بعيدا عن أعين الناس وماهي إلا لحظات حتى ابتلعتهم الأشجار الكثيفة.

*****

"المستعصم بالله"

بدأ الفارس "شهاب الدين" في التحرك صوب قصر الخلافة وهو يدير أمر الخوذة في رأسه ولا يجد له حلا إلا أن يشتبك مع أحد الجنود ليأخذ منه الخوذة... ولكن لابد أن هذا قد يثير ضجة أو بلبلة ما قد تعصف بتخفيه تماما...

فمن الضروري أن يرى رجال الوفد ويسمع ما يريدونه من الخليفة وفي نفس الوقت دون أن يشعر به أحد...

حاول أن يهتدي إلى حل آخر قبل أن يصل الوفد إلى قصر الخلافة ولكن لم يسعفه عقله هذه المرة... فرفع رأسه إلى السماء ثم خفضها في خشوع قبل أن يقول في سره: يا مغيث أغثني... يا مغيث أغثني... يا مغيث أغثني...

كان الفارس قد تعود أن يردد دائما هذا الدعاء حين تعييه الحيل والأسباب... وما إن فرغ من دعاءه إلا ورأى مجموعة من الأطفال يهرولون أمامه في خوف وأحدهم يحمل شيئا كبيرا في يده قد لفه في قطعة من القماش... فلفت انتباهه نظراتهم الخائفه إليه... فتوجه إليهم فاختبأوا خلف جدار قصير... فزاده هذا فضولا وتوجه إلى خلف الجدار ليجدهم جالسين على الأرض في رعب فبادرهم مطمئنا ومهدئا: مابكم؟!! لما أنت خائفون هكذا؟!!!

نظر بعضهم إلى بعض في خوف ثم ما لبث أكبرهم أن استجمع قواه وشجاعته ووقف في توتر وهو يبلع ريقه قبل أن يقول: سسس... سيدي... نحلف بالله أننا وجدناها على الأرض... لم نسرقها... هذا والله ماحدث....

توجه "شهاب الدين" إلى أكبر الأطفال وجلس على ركبتيه ليكون في مستوى نظره ثم ربت على كتفيه قائلا: وما الذي وجدتم؟!!!

نظر أكبر الأطفال إلى الشئ الملفوف بالقماش والذي رءاه الفارس معهم ثم تحرك ناحيته وحمله إلى "شهاب الدين" وقال له: هذه..!!!

أخذها "شهاب" في رفق ثم كشف عنها القماش ليجدها خوذة من خوذات الجنود الجديدة... فتبسم... ثم نظر إلى كبير الأطفال وقال له: أين وجدتموها؟!!

قال له: في الغابة الخلفية لقصر الخلافة....

قال "شهاب الدين" في أدب: هل تسمح لي أن آخذها؟!!!!

نظر له أكبر الأطفال في دهشة واستغراب وهو يدقق النظر إلى لباس "شهاب الدين" ودروع جنود الخلافة التي تغطيه ويقارن هذا بطريقة كلامه اللطيفة ثم قال في قلق: تفضل....

ابتسم له "شهاب الدين" قبل أن يقول: جزيت خيرا... ولكني أريد منك شيئا آخر أهم من هذا....

قال له أكبر الأطفال في قلق: ماذا تريد؟!!

قال "شهاب الدين": ما دمت لم تفعل خطأ ما... لا تخف... لا من جنود الخلافة ولا حتى من الخليفة نفسه... خف فقط من خالقك...

ثم نظر إلى بقية الأطفال وقال لهم: وأنتم أيضا كذلك... هل تعاهدوني على ذلك؟!!!

قالوا جميعا: نعم...

ابتسم لهم "شهاب الدين" مرة أخرى ثم قام من مكانه وتوجه ناحية الغابة الخلفية لقصر الخلافة... وبينما هو يسير فيها إذ وجد شيئا يلمع على الأرض فتوجه ناحيته ليجد سيف جندي من جنود الخلافة ملقى على الأرض... فتناوله في حذر... ثم نظر حوله وهو يتمتم قائلا: خوذة وسيف... هذا غريب..!!!

ثم تحرك قليلا فوجد بعض الأغصان المنكسرة فجلس على إحدى ركبتيه يتفقدها ومسح براحة يده على الأرض قبل أن يقول لنفسه: يبدو أن معركة ما قد دارت هنا منذ قليل...

ثم نظر إلى الاتجاه الذي أخذ فيه الرجال الثلاثة "كعب" وما تحمله الأرض من آثارهم قبل أن يقول: بعض الرجال كانوا يجرون آخر على الأرض وأخذوه في هذا الاتجاه...

ثم نهض وهو يقول: يبدو أن أحد الجنود قد وجد أخيرا جزاء ما قدمت

يداه... وهذا يعني أيضا أنه ليس متواجد عند قصر الخلافة الآن... حمدا لله.

ثم أمسك "شهاب الدين" بالخوذة وارتداها بعد أن عقص شعره الذهبي بحبل كان معه حتى لا يظهر من أسفل الخوذة وتوشح سيف "كعب" الذي وجده ثم بدأ في التوجه ناحية قصر الخلافة في ثقة عجيبة... وما إن وصل إلى البوابة الرئيسية حتى وجد رفقاء "كعب" التسعة يقفون أمامه ووجد الوفد وقد اقترب به القائد "علاء الدين" جدا من قصر الخلافة وأصبح قاب قوسين أو أدنى من القصر...

فنظر إلى الجنود التسعة فوجد أحدهم يشير إليه إشارة سريعة ليأتي إليه... فأخذ "شهاب الدين" نفسا عميقا قبل أن يقول في نفسه وهو يتجه ناحية الحارس: توكلت على مالك الملك...

وما إن وصل إلى جوار أحدهم حتى جذبه من يده بسرعة ليقف بجواره وهو يقول: حمدا لله أن عدت يا "كعب"... لا تقل شيئا الآن وقف حتى لا يتنبه القائد "علاء الدين" لغيابك...

وقف "شهاب الدين" بجوار "عاصم" ليستعد لاستقبال الوفد القادم...

وفي شرفة من شرفات القصر والتي تطل على باحته الأمامية وقف رجل طويل القامة... رفيع البنيان... تحمل عينيه الزرقاء وشعر لحيته الأحمر ملامح إفرنجية جميلة لم تمنعها سنوات عمره التي قاربت الخمسين من التبدل أو التغير... وكان بجواره رجل آخر ممتلئ الجسد... قامته

أقصر من الأول... ينسدل شعره الرمادي اللون على كتفيه... وتحمل قسمات وجهه الغليظة ملامح من عركته السنين والدروب...

قال الأول للثاني: لن ينفك "العلقمي" أن يتحالف مع الشياطين حتى يوردنا جميعا جهنم معهم...

قال الثاني: ولكنك تعلم يا "مجاهد الدين" أن جميع الخلق سيوردون عليها فعلا...

نظر له "مجاهد الدين أيبك": تعلم جيدا يا "سليمان" أني لم أقصد الورود الذي سيرده جميع الخلق ولكني كنت أقصد دخولها الفعلي...

قال "سليمان شاه" في تأثر: أعلم هذا يا صديقي... ولكني أردت أن أمزح معك قليلا لعل هذا ينسيك قليلا ويذهب عنك ما أجده فيك من أسى وغضب...

قال "مجاهد الدين أيبك": وأنا أيضا أريد أن أنسى... بل لعلي فعلا أنسى بعض الوقت... ولكن الوضع الآن أكبر من أن ينسى أو يتغافل عنه... أَبَعد ما سمعناه عن فظائع هؤلاء القوم في "بخارى" و"سمرقند" و"مرو" و"نيسابور" وغيرها من مدن الدولة الخوارزمية وإن كانت عدو لنا في بعض الوقت من الزمان... نأتي اليوم لنعاهد ونصادق هؤلاء المتوحشين الظالمين القتلة؟!!!

قاطعه "سليمان شاه" بإشارة من يده وهو يقول: ولكنك تعلم مقولة عدو عدوي هو صديقي... وماذكرت من دول كانت تابعا للدولة

الخوارزمية وهم أعدائنا...

قال له "مجاهد الدين أيبك": لا... ليس بالضرورة... بل من الممكن أن يكون عدو عدوي هو أكثر خطرا علي من عدوي الأول...

أشاح "سليمان شاه" بوجهه ثم قال: لا زلت لا أرى أن وفدا كهذا قد يضر بالخلافة أو بنا بشئ... ألا تعلم من نحن؟!!! نحن وزراء الخلافة العباسية... من يجرؤ أن يفكر فقط مجرد تفكير في إلحاق الأذى بنا...

نظر له "مجاهد الدين أيبك" بجانب عينيه ثم تنهد تنهيدة طويلة وقال: أرجو أن تكون مصيبا هذه المرة...

ثم عاد الاثنان لينظرا إلى الوفد وهو يبدأ في دخول قصر الخلافة العباسية....

وصل القائد "علاء الدين" إلى قصر الخلافة العباسية بصحبة الوفد...

وما إن اقترب من البوابة حتى أشار إلى الجنود العشرة وقال لهم: أنتم... أريد اثنان منكم ليعتنيا بخيول الوفد حتى ينتهي من زيارته...

ثم أشار إلى "عاصم" و"شهاب الدين" قبل أن يقول: أنتما ستكونان معي... أما البقية فسيبقون هنا ولا يسمحون لأحد بالدخول أو الخروج من قصر الخلافة إلا بأمر مني شخصيا...

نظر "عاصم" إلى "شهاب الدين" دون أن ينطق بشئ... ثم بدءا في التحرك بجوار قائد الجنود والوفد المصاحب له داخل قصر الخلافة...

وما هي إلا لحظات حتى دخلوا إلى قاعة حكم الخلافة بعد أن فتح لهم بابها حارسي القاعة ليجدوا الخليفة "المستعصم بالله" جالس على كرسي الخلافة ويقف على يمينه رئيس وزراءه "مؤيد الدين العلقمي" وعلى يساره باقي الوزراء ومنهم "مجاهد الدين أيبك" و "سليمان شاه"...

وما إن دلف الوفد إلى داخل القاعة حتى تحرك "العلقمي" ناحية الوفد بحفاوة كبيرة وهو يقول: أهلا بوفد الخاقان الأعظم... أهلا بوفد المغول...

بدت على وجه الخليفة "المستعصم بالله" نظرة ضيق للحظة وهو يسمع كلمة "الأعظم" ولكنه أخفاها سريعا ليبتسم في وقار قائلا وهو جالس على كرسيه: أهلا بكم في عاصمة الخلافة العباسية...

أشار القائد "علاء الدين" إلى "عاصم" و"شهاب الدين" ليقفا على يمين ويسار الوفد.

ثم تقدم رئيس الوفد الذي كان يسير مع قائد الجنود إلى الأمام ناحية الخليفة و خلع خوذته والكمامة الجلدية ثم قال وهو ينحني: نيابة عن الخاقان الأعظم أنقل أنا "كتبغا نوين" تحياته و سلامه إليكم خليفة المسلمين.

نظر له "شهاب الدين" فجأة بحركة حادة من رأسه عندما سمع اسم "كتبغا" ولم يلحظ هذه الالتفاتة إلا "عاصم" الذي نظر إليه باستغراب...

ثم أكمل "كتبغا" قائلا في استعراض واضح بعد أن رفع رأسه وهو يشير

إلى الرجال الستة الذين يحملون الصناديق الذهبية: سيدي الخليفة... اسمح لي أن أقدم لكم هدية بسيطة من الخاقان الأعظم لتقر بها عينكم ويسعد بها قلبكم...

تقدم الرجال الستة في سرعة ليقفوا بين "كتبغا" والخليفة... ثم وضعوا الصناديق الذهبية أرضا...

وبدأوا في فتح الصناديق واحدا تلو الآخر... وأعين الوزراء تتسع انبهارا بما يرون داخل الصناديق أكثر وأكثر كلما فتحوا صندوقا من الصناديق...

فالصناديق الذهبية كانت تحمل من التحف والمشغولات الذهبية واللآلئ والمجوهرات ما يعجز أحدهم أن ينفقه طيلة حياته إن لم يكن يشغله شئ إلا هذا...

نظر "كتبغا نوين" نظرة خبث إلى الخليفة متوقعا أن يرى في عينيه انبهارا كالذي يراه في أعين الوزراء ولكنه على العكس تماما وجده في قمة الهدوء وهو ينظر إلى الصناديق بلا اكتراث... فنظر "كتبغا" إلى "العلقمي" نظرة عتاب فهب "العلقمي" يقول في تصنع: سيدي الخليفة... إن القوم والله لأكرم الناس... وأجود الخلق... هذه الهدايا حقا تليق برجل الخلافة العباسية الأول...

نظر الخليفة "المستعصم بالله" إلى "العلقمي" نظرة طويلة ثم التفت إلى "كتبغا نوين" ليقول: وما الذي تريدونه مقابل هذا العطاء السخي؟!!!

ضحك "كتبغا نوين" وهو يدور حول "العلقمي" في بطء واستعراض... وبينما هو يفعل دس ورقة صغيرة في عباءة العلقمي من ناحية الخلف... والوحيد الذي لاحظ ذلك هو "شهاب الدين" الذي كان يقف وقتها خلف "العلقمي"... ثم أكمل "كتبغا نوين" الدوران حول "العلقمي" كأن لم يفعل شيئا ليقول للخليفة متعجبا: مقابل؟!!!!! نحن لا نريد شيئا....

ثم توقف فجأة قبل أن يقول في هدوء يحمل شيئا من شراسة وهو ينحني: نريد فقط رضاك سيدي الخليفة...

وبانحناءته انحنى بقية الوفد للخليفة...

ولم يرفع أحد منهم قامته إلا بعد أن قال الخليفة "المستعصم بالله": حسنا... قبلنا هداياكم... هل تنوون البقاء في مدينتنا بعض الشئ لنريكم كرم ضيافة الخلافة العباسية؟!!!

قال "كتبغا نوين" في سرعة: لا نريد أن نشغل أوقاتكم أكثر من هذا... ولا أريد أن أتأخر في عودتي إلى "قوراقورم" عاصمة دولة "المغول"...

ثم نظر بطرف عينيه إلى العلقمي نظرة سريعة قبل أن يكمل قائلا: فنحن المغول أكثر مانكرهه هو التأخير... قد تصل عاقبته أحيانا إلى القتل...

ضحك "العلقمي" في توتر وهو يفرك كفيه بعضهما في بعض وهو يقول: لا يريد أحد لكم التأخير...

ثم نظر "العلقمي" إلى الخليفة ليقول: أطلب الإذن من سيدي الخليفة أن يسمح للوفد بالانصراف...

أشار الخليفة "المستعصم بالله" بيده للوفد أن ينصرف دون أن يتكلم...

فأمسك القائد "علاء الدين" مقبض سيفه بقوة قبل أن يشير إلى "شهاب الدين" و "عاصم" أن يتبعاه فتحركا خلفه وهو يقود الوفد إلى خارج القاعة وخلفهم "العلقمي" وبجواره "كتبغا نوين"...

وما إن خرجوا خارج القاعة وأغلقت خلفهم أبوابها حتى قال "العلقمي" موجها كلامه لـ "علاء الدين": قائد الجنود... أريد منك أن تصطحب الوفد إلى بوابة المدينة وتطعمهم طعام الغذاء هناك...

قال له القائد "علاء الدين" باستغراب: عند البوابات يا سيدي؟!!!

قال له "العلقمي" في صرامة: نعم عند البوابات...

انحنى له القائد "علاء الدين" في احترام: أمر سيدي...

ثم بدأ في قيادة الوفد إلى خارج القصر إلا أن الوفد بأكمله لم يتبعه... فلقد وقف "كتبغا نوين" بجوار "العلقمي ولم يتحرك...

فانتبه لهذا "شهاب الدين" فثبت في مكانه ولم يتحرك هو أيضا... فنظر له القائد "علاء الدين" في استغراب ثم قال له: ما الذي تفعله ياهذا؟!!!... تحرك...

نظر "شهاب الدين" إلى "كتبغا نوين" و "العلقمي" في مقت من أسفل الخوذة ولم يحرك قدميه قيد شبر... فنظر له "عاصم" في استغراب أكثر والشكوك تعتمر في صدره...

وصاح القائد "علاء الدين" فيه قائلا: ما الذي تفعله أيها العبد؟!!!... أمرتك أن تتحرك...

تبادل "العلقمي" و"كتبغا نوين" نظرة قلقة... قبل أن يمسك "العلقمي" بذراع "كتبغا نوين" ويجذبه ليذهبا بعيدا عن الوفد ويدلفا إلى حجرة جانبية ويغلقا عليهما الباب...

وفي نفس الوقت إندفع القائد "علاء الدين" نحو "شهاب الدين" ووقف أمامه مباشرة وقرب رأسه من خوذة "شهاب الدين" والذي كان ملتفتا برأسه ينظر إلى "العلقمي" و"كتبغا نوين" وهما يذهبان بعيدا...

ثم التفت برأسه في هدوء قاتل ليواجه عيني قائد الجنود "علاء الدين" التي تكاد أن تشيط غضبا...

وقف الاثنان ينظران إلى بعض في تحد قبل أن يعقد القائد "علاء الدين" حاجبيه في استغراب بعد أن لمح لمعانا أزرقا في عين "شهاب الدين" اليمنى من أسفل الخوذة...

وماهي إلا ثوان قليلة حتى أشاح "شهاب الدين" وجهه بعيدا عن وجه القائد "علاء الدين" ثم بدأ في التحرك إلى خارج القصر وتحرك الوفد بتحركه.

فوقف القائد "علاء الدين" في مكانه قليلا في غضب... ثم تمتم قائلا بصوت لا يسمع به إلا نفسه: لولا أني لا أريد من "العلقمي" المزيد من التقريع لحززت رأسك الآن أيها العبد... ولكن صبرا... فلقد أوشك هذا اليوم العصيب أن ينتهي... وحين يأتي المساء... لن تجد لك على الأرض موئلا... ولن تشعر إلا بذبابة سيفي وهي تحرث رقبتك بحثا عن الدماء...

وصل الوفد إلى البوابة الخارجية للقصر ليجد الجنود الستة في انتظاره...

وبعد دقيقة كاملة تبعهم القائد "علاء الدين" ثم قال للجنود: أنتم الستة ستصحبوني مع الوفد إلى بوابات المدينة...

ثم نظر إلى "شهاب الدين" و "عاصم" في مقت ثم قال: أما أنتما فستبقيان هنا في إنتظار عودتي...

ثم شدد النظر تجاه "شهاب الدين" قبل أن يقفز فوق فرسه الذي أحضره له الجنديان اللذان كانا مع خيول الوفد...

وما إن هم بالتحرك مع الوفد حتى سمع من يقول من داخل البوابة: أين عربتي؟!!!

فنظر القائد "علاء الدين" خلفه ليجد "العلقمي" وهو يخرج وحده مسرعا من داخل القصر وهو يقول مرة أخرى بصوت عال: أين عربتي؟!!!

ترجل القائد "علاء الدين" من على فرسه قبل أن يتجه إلى "عاصم" وهو يصرخ في وجهه: إذهب وأحضر عربة رئيس الوزراء حالا... هيا...

اندفع "عاصم" مهرولا إلى الحظيرة المجاورة للقصر ليغيب للحظات قبل أن يعود وهو جالس بجوار سائق عربة "العلقمي" الذي قادها مسرعا ليقف بها أمامه ثم قفز منها قائلا في توتر وهو ينحني: سيدي... عربتك جاهزة... إلى أين يريد سيدي رئيس الوزراء أن يذهب؟!!!

قال "العلقمي": لا أريد منك شيئا... فقط أريد العربة...

رفع سائق العربة رأسه في اندهاش... وقال القائد "علاء الدين" في استغراب: ستقود العربة بنفسك يا سيدي؟!!!

نظر له "العلقمي" في غضب قبل أن يقول: هل عندك من اعتراض؟!!

خفض القائد "علاء الدين" رأسه في خوف وهو يقول: أبدا يا سيدي... بيد أن...

قاطعه "العلقمي" وهو يجلس في المقعد الأمامي للعربة: نفذ ما أمرتك به واذهب بالوفد إلى بوابات المدينة ليتناولوا طعام الغذاء ولا ترد علي بكلمة... هل فهمت؟!!!

نظر له القائد "علاء الدين" ثم أومأ برأسه قبيل أن يصيح بالجنود: هيا...

وانطلق "العلقمي" بعربته مسرعا قبل أن يتحرك الوفد... ثم تحرك الوفد والقائد "علاء الدين" خلفهم... وما إن غادروا جميعا حتى نظر "عاصم" إلى "شهاب الدين" قائلا في غضب: مابك يا "كعب"؟!! لم أنت متغير هكذا اليوم... ألا يكفيك ما فعلت مع قائد الجنود قبل قدوم الوفد... إذا كنت تريد أن يمسك عذاب منه فهذا شأنك وحدك... ولكني لا أريد أن يصيبني أذى بسببك...

لم يرد عليه "شهاب الدين" وهو ينظر إلى القصر طويلا الذي لم يرى "كتبغا نوين" قد خرج منه ثم عاد لينظر إلى الطريق الذي سلكه "العلقمي" بعربته وسار خطوات قليلة إلى الأمام قبل أن يصيح به "عاصم" من خلفه قائلا: لماذا لا تجيبني يا "كعب"؟!!!

وقف "شهاب الدين" فجأة... وسمع "عاصم" وهو يقول من خلفه في ذهول: يا إلهي... أنت لست "كعب"...

التفت إليه "شهاب الدين" ليجده يشير إلى رأسه وهو يقول: هذا ليس شعر "كعب"...

رفع "شهاب الدين" يديه ليخلع الخوذة من على رأسه ببطء والذي كان ينسدل شعره الأشقر الناعم من أسفلها بعد أن انفك الحبل الذي كان يربطه به....

ثم ألقاها بعيدا قبل أن يقترب من "عاصم" في هدوء مخيف والذي تسمر في مكانه في رعب وقد اتسعت عيناه فرقا و"شهاب الدين"

يقرب وجهه منه قائلا: أعدك إن ظللت صامتا حتى أذهب أن تحتفظ بلسانك...

ابتلع "عاصم" ريقه... ثم أومأ برأسه أن نعم...

فابتسم "شهاب الدين" بجانب فمه قبل أن يولي "عاصم" ظهره في ثقة وينصرف في الاتجاه الذي سارت فيه عربة "العلقمي".

*****

"اللفافة"

ـ لم أكن لأتأخر عليك يا سيد "كتبغا".

ـ .....

ـ مم... ما الذي دسسته في عباءتي من الخلف؟!!!

ـ ورقة بها موضع المكان الذي ستقابلني فيه وحدك قبيل مغيب الشمس...

ـ حسنا... حسنا... لا تقلق... سأكون في الموضع قبيل غروب الشمس بساعة ومعي ما طلبت...

ـ هذا أفضل لك....

ـ سأذهب الآن لأعد لك طلبك... وأنت؟... هل ستخرج مع الوفد؟!!!!

ـ لا تشغل بالك بهذا....

كانت هذه هي المحادثة التي دارت بين "كتبغا نوين" و "العلقمي" حين اختليا ببعضهما بعيدا عن الوفد... والتي كان "العلقمي" يديرها في رأسه وهو يسير بعربته متجها إلى مقر وزارته...

وإن كانت هذه المحادثة لم تأخذ من الوقت أكثر من دقيقة واحدة إلا أن العلقمي أخذ يعيدها في ذهنه مرارا وتكرارا حتى وصل إلى المقر... فترجل من عربته مسرعا ودخل إلى داخل المقر ليغيب داخله بضع دقائق ثم يخرج وهو يحمل لفافة ما في يده...

ومن بعيد رءاه الفارس "شهاب الدين" وهو يحمل اللفافة بيده ويتحرك بالعربة مرة أخرى... فسار خلفه في حذر على صهوة فرسه مع الحفاظ على مسافة كبيرة بينهما حتى لا يلاحظ "العلقمي" تتبعه له مهتديا ببقع الحبر الأسود التي تسقط من عربته.

وبعد مدة من الوقت وجد الفارس "شهاب الدين" أن عربة "العلقمي" قد توقفت على بداية منحدر صخري وعر... فتقدم نحوها في بطء ليجدها خالية من "العلقمي"... فنظر إلى أسفل المنحدر ليجد العلقمي وهو يسير داخل الوادي الصخري بخطوات حذره ليختفي وراء صخور ضخمه التف حولها...

أخذ الفارس "شهاب الدين" ينظر حوله عله يجد طريقة ليتبع بها "العلقمي" دون أن يشعر به أو يراه...

فوجد أن بجانب الوادي مرتفعا من الأرض كالهضبة وعلى حافتها تقع بعض البيوت... فهرول إليها مسرعا حتي ما إن وصل إليها بدأ في تسلق أحد البيوت بخفة وسرعة شديدة تنم على مهارة وخبرة قديمة في هذا الأمر....

وبعد لحظات وصل إلى سقف البيت ووقف لينظر من فوقه ليجد "العلقمي" و "كتبغا نوين" بأسفل الوادي والذي كان يبلغ عمقه بضعة أمتار...

لم يكن باستطاعته أن يسمع ما يدور بينهما لكنه رأى "العلقمي" وهو يتكلم بعصبية وهو يلوح بيده في الهواء و"كتبغا نوين" ينظر له بهدوء... ثم توقف "العلقمي" عن الكلام وهو ينظر إلى "كتبغا نوين"...

وفجأة أمسك "كتبغا نوين" بمجامع "العلقمي" بشدة وجذبه إليه وهو يعنفه تعنيفا شديدا فما كان من "العلقمي" إلا أن رفع يديه في استسلام وخوف...

ثم أرسله "كتبغا نوين" فأخذ "العلقمي" يعدل من رداءه في حرج... ثم أخرج من داخلها اللفافة التى كان قد أخذها من مقر وزارته...

فانتزعها "كتبغا نوين" من يده بشدة وفضها ليرى ما بها... و"العلقمي" يشير إليها ويتودد إليه...

فنظر فيها "كتبغا نوين" مليا قبل أن يقوم بطيها مرة أخرى وإحكام غلقها...

ثم نظر "كتبغا نوين" إلى "العلقمي" في احتقار و هم بالانصراف فجذبه "العلقمي" من يده ثم تراجع عن فعله بسرعة وهو ينحني كمن يعتذر...

نظر له "كتبغا نوين" نظرة نارية ثم دس يده في جيبه ليخرج له كيسا مخمليا يحمل اللون البنفسجي ويلتف حول عنقه شريط فضي اللون ويرميه إليه... فالتقطه "العلقمي" في لهفة وأمسك به وأخذ يدقق النظر فيه بإعجاب ثم دسه داخل عباءته في سرعه...

قال الفارس "شهاب الدين": ماهذا الذي يحدث؟!!!... يجب أن أعلم ما الذي أخذه "كتبغا" من هذا "العلقمي"... ومن الممكن أن تكون هذه آخر فرصة لي في هذا...

نظر "شهاب الدين" حوله فوجد مجموعة من الحبال ملقاة فوق سقف البيت... ووجد أيضا حلقة حديدية مثبتة في الزاوية اليسرى الأمامية للسقف... فابتسم وقال: حمدا لله...

فتوجه سريعا نحو الحبال وسحب أحدها ليجده طويلا بما يكفي... فأخذه في سرعة وربط وسطه بإحدى طرفيه وربط الطرف الآخر بإحكام في الحلقة المعدنية... ثم تراجع بضع خطوات للوراء ونظر إلى "العلقمي" و"كتبغا نوين" اللذان كادا أن يتفرقا فقال في سخرية: إنتظراني... قد تأخرت على إجتماعكما... ولكن لا بأس... أن تأتي متأخرا خير من ألا تأتي مطلقا...

وفجأة أسرع الفارس "شهاب الدين" بالعدو ناحية حافة البناية الخلفية تاركا الحلقة المعدنية خلفه... وما إن وصل إليها حتى قفز في الهواء قفزة كبيرة إلى خارج البناية... وبدأ الحبل في التناقص سريعا من على السقف وجسد "شهاب الدين" يسقط بسرعة كبيرة... وفجأة...

اشتد الحبل معلنا نهاية طوله فاندفع جسد "شهاب الدين" المربوط بنهاية الحبل من الجهة الخلفية للأمامية بسرعة ليصل فوق "العلقمي" و "كتبغا نوين" بأمتار قليلة أسفل الوادي... فأخرج خنجره في سرعة وقطع به الحبل ليسقط بقوة بين "العلقمي" و "كتبغا نوين" مثيرا سحابة كثيفة من الغبار...

انتفض "العلقمي" في رعب وهو يصرخ: ماهذا؟!!!!

أما "كتبغا نوين" فنظر إلى الغبار في هدوء وترقب حتى ينقشع....

وبدأ الغبار في الذهاب بعيدا مع الريح ليظهر من خلفه البطل "شهاب الدين" واقفا في تحد ينظر بعينه الزرقاء اللامعة إلى "كتبغا نوين"...

ارتفع حاجبا "كتبغا نوين" في دهشة ثم قال: "شهاب"؟!!!!

قال "شهاب الدين": نعم... هو أنا يا "كتبغا"....

بدأ "كتبغا نوين" بالتحدث بلغة المغول قائلا: إذا فلقد اخترت "بغداد" لتكون مقبرتك!!!

رد عليه "شهاب الدين" أيضا بلغة المغول: بغداد لن تكون مقبرة إلا لكم...

صاح "العلقمي" من خلفهم: ماهذا؟!!!... ماذا تقولون؟!!!!

بدأ "شهاب الدين" و "كتبغا نوين" في السير جانبا كل إلى يمينه دون أن تلف أجسادهم...

قال "كتبغا" : أن تعلم أن هذا لن يكون... ألم يخبرك والدك بهذا؟!!!

قال "شهاب الدين" في شراسة: لا تذكر والدي في كلامك...

توقف "كتبغا نوين" عن المسير جانبا فجأة ولف ساقه اليمنى لتكون خلف جسده ثم قام بثني ركبته اليسرى متخذا وضعا قتاليا وفعل مثله "شهاب الدين" نفس الحركه في نفس التوقيت...

كانا كمن تلقيا نفس التدريبات القتالية على يد نفس المعلم...

ثم قال "كتبغا" : لا تنسى أن والدك كان قائدي...!!!!

وقف الاثنان للحظات ثابتين كتمثالين حجريين ينظران لبعضهما في تحد... وفجأة انقض كلاهما على الآخر في قوة... واصطدم جسداهما معا في عنف...

وتراجع العلقمي في رعب وهو يردد: من أنت؟!!!... من أنت؟!!!

ثم هرول مسرعا خارج الوادي ليلحق بعربته تاركا خلفه "شهاب الدين" وهو يعلو "كتبغا" جاثما على صدره يكيل له اللكمات القوية في وجهه وهو يقول: لن أسمح لكم بتكرار ما فعلتموه في خوارزم...

أمسك "كتبغا نوين" بقبضة "شهاب الدين" فجأة ثم بصق في عينه بعضا من الدماء التي سالت في فمه ودار بجسده على الأرض ليفلت من أسفل "شهاب الدين"... ثم ركله بقدمه ركلة قوية قبل أن يقفز ويهرول مسرعا ناحية فرسه...

وقبل أن يصعد إليه هجم عليه "شهاب الدين" من الخلف وأحاط وسطه بساعديه في قوة ودفعه على الأرض... فسقطا معا... ثم ضرب "كتبغا نوين" وجه "شهاب الدين" بمرفقه بقوة ليتخلص من قبضته مرة تلو الأخرى حتى انفلت من بين ساعديه ثم التفت له وضربه بمقدمة رأسه في قوة ثم كال له لكمتين أطاحت بجسد "شهاب الدين" إلى الخلف قبل أن يسقط على ظهره بلا حراك...

نهض "كتبغا نوين" سريعا ونظر إلى "شهاب الدين" غير مصدق أنه لا يتحرك... ثم عدا مسرعا ناحية فرسه وقفز عليه ثم ولى هاربا... وبعد دقيقة كاملة نهض الفارس البطل "شهاب الدين" في قفزة واحدة من على الأرض ثم قال لنفسه: لا تظن أنك قد تغلبت علي يا "كتبغا".... ثم أمسك اللفافة التي كان انتزعها خلسة من "كتبغا نوين" أثناء قتالهما وأكمل يقول وهو يمسح الدماء التي بصقها "كتبغا نوين" من على وجهه: فمازال في جعبتي الكثير...

ونظر لقرص الشمس الذي أوشك على المغيب ثم سار مبتعدا عائدا إلى مركز المدينة...

*****

"الرأس"

كانت الشمس توشك على المغيب عندما عاد قائد الجنود "علاء الدين" إلى قصر الخلافة بعد أن أوصل الوفد المغولي للبوابات الخارجية لمدينة بغداد ، وعندما وصل كان أول شئ يريد أن يفعله هو معاقبة "كعب" والنيل منه...ولكنه لم يجده ووجد "عاصم" فقط واقف وحده وهو يرتجف... فناداه من فوق فرسه: أنت!!!... أين زميلك الوقح؟!!!

لم يرد "عاصم" فصرخ به القائد "علاء الدين" : أنت!!!!

انتفض جسد "عاصم" كمن فاق من سبات عميق وهو يقول: سس... سيدي...

قاطعه القائد "علاء الدين" قائلا: أين زميلك العبد؟!!!

قال له "عاصم" في خوف: لم يكن زميلي يا سيدي!!!

رد القائد "علاء الدين" في قوة: ماذا تقول؟!!!

قال "عاصم" : أجل يا سيدي... كان رجلا آخر... رجل مخيف... أشقر الشعر... عينه اليمنى زرقاء... و...

قاطعه القائد "علاء الدين" مرة أخرى قائلا: وأين ذهب؟!!!

جاءه الرد من رجل يخرج من داخل القصر قائلا: أنا أقول لك أين ذهب أيها القائد الفاشل... نظر القائد "علاء الدين" فجأة لقائل هذه

العبارة ثم ترجل بسرعة من على ظهر فرسه وانحنى قائلا: سيدي رئيس الوزراء...

أكمل "العلقمي" قائلا: أليس هذا هو نفس وصف الرجل الذي حال بينك وبين كنز "النورس" ذاك اليوم؟!!!

رفع القائد "علاء الدين" رأسه قائلا في حيرة: أعتقد ذلك يا سيدي...

قال "العلقمي" في غضب: تعتقد؟!!!... أي قول هذا يخرج من فم قائد جنود الخلافة العباسية؟!!!!...

قال القائد "علاء الدين" وقد شعر بالضيق أن يعنفه "العلقمي" هكذا أمام جندي من جنوده: سيدي لقد وعدتك أن أظفر به وسوف أفعل كما وعدت.

قال "العلقمي" في تهكم: ومتى سيكون هذا؟!!... بعد أن يجعلنا أضحوكة البلاد؟!!!

ثم أكمل في ثورة عارمة: لقد تبعني هذا الرجل اليوم وكاد أن يفتك بي...

رفع القائد "علاء الدين" حاجبيه في اندهاش ولم ينطق بشئ...

فأشار "العلقمي" بغضب إليه ثم قال: اعلم أن أيامك – إن ظللت بهذا الخذلان – أصبحت معدودة...

ثم انصرف داخلا إلى قصر الخلافة وهو يقول بلهجة مرعبة: فإما رأسه أو رأسك....

"كتبغا نوين"

قال الحداد "حسن سليمان"موجها كلامه للفارس "شهاب الدين" في حماس: إذا فقد نفعك الحبر الأسود بالفعل...

قال الفارس "شهاب الدين" وهو يبتسم: نعم والحمد لله...

ثم غمز بعينه قائلا: وشكرا لك فأنت من يسرت حصولي على هذه...

قالها وهو يرفع اللفافة التي حصل عليها من "كتبغا نوين"...

قال "حسن سليمان": بل هي فكرتك أنت أيها العبقري...

ضحك "شهاب الدين"... ثم قال كمن تذكر شيئا: هل ترغب أن أشكرك مرة أخرى؟!!!

نظر له "حسن سليمان" باستغراب وهو يقول: وكيف لي بهذا الشرف العظيم؟!!!

قال له "شهاب الدين" وهو يتذكر ما فعله بالحبل فوق سقف البيت المواجه للوادي: أريد أن تصنع لي حبلا مطاطيا... طوله قابل للتغيير... أستطيع تثبيته في أي شئ كما يكون في إستطاعتي أن أفصله عن جسدي بسهولة...

قال له "حسن الحداد" في سخرية: هل تريده أن يتكلم أيضا ويُصَفِق

لك أحيانا أم أن هذا فقط يكفيك؟!!!

ضحك "شهاب الدين" كثيرا قبل أن يقول: لا يا صديقي العزيز... هذا فقط يكفيني الآن...

ثم بدت الجدية على وجهه وهو يفض اللفافة التي معه قائلا: أريد أن أعلم فقط الآن أهمية هذه اللفافة التي جاء من أجلها المغول!!!

قال له "حسن سليمان": لعلها رسالة ترحيب لخاقانهم في قوراقورم أو شئ من هذا القبيل... فأنت تعلم أن هؤلاء يعتبرون سفراءه..

نظر "شهاب الدين" طويلا في ما تحويه اللفافة... ثم قلبها ليواجه ما بها وجه صديقه "حسن سليمان" قبل أن يقول في غضب: أرأيت... هذه اللفافة تحتوي على أماكن تمركز جيوش الخلافة داخل بغداد وخارجها...

اتسعت عينا "حسن سليمان" في دهشة وهو يقول: أحق هذا؟!!!

قال له "شهاب الدين": إي وربي إنه لحق...

قال "حسن سليمان" في استغراب: ولماذا يعطيهم رئيس الوزراء شيئا كهذا؟!!!

رد "شهاب الدين" في غضب: لأنه خائن!!!!

اتسعت عينا "حسن سليمان" في رعب...

ثم أكمل "شهاب الدين" قائلا: ولأن "كتبغا نوين" ليس سفيرا لدولة المغول...

وصمت برهة قبل أن يقول: بل هو جاسوس!!!!!

(تمت بحمد الله)

العدد الرابع

"الأميرة"

"القبو"

كان منزل العالم الجليل "ابن النفيس" مكونا من طابقين في وسط مزرعة كبيرة بالقرب من سوق مدينة بغداد الرئيسي.

المنزل – على بساطته الظاهرية – كان أنيقا وجميلا... كان مطليا من الخارج باللون الأبيض الناصع... أما الحديد المثبت على الشرف والنوافذ فكان يتمتع باللون الأخضر الفاتح والأخضر الداكن في تناغم جميل مع ما يلتف حول هذا الحديد من أعشاب ونباتات متسلقة وزهور لتجعل من هذا المنزل متنفسا لمن أراد أن يمتع ناظريه بشئ من الجمال يريح به نفسه.

أما المظهر الداخلي فكان لا يختلف بالشئ الكثير عن المظهر الخارجي... فالاناقة والنظافة والترتيب والنظام هم عنوان هذا البيت والذي يسكن به رجل تجاوز العقد السادس من عمره.

فالعالم الجليل "ابن النفيس" كان يشرف بنفسه على نظافة وتجميل بيته متأسيا برسوله صلى الله عليه وسلم الذي كان يقم البيت بنفسه... كان لا يتأفف أو يتذمر أو يقول هذا من أعمال النساء أو الخدم... بل كان يخدم نفسه وأهل بيته متى استطاع إلى ذلك سبيلا.

وإلى جانب الطابقين الظاهرين أمام الجميع كان هناك القبو والذي لا يعلم به الكثير... فلقد تعمد "ابن النفيس" إخفاءه عن الأعين وجعل

مدخله ومخرجه الخارجيين غير ظاهرين.

كان هذا القبو هو ملاذ " ابن النفيس" ومستقر خلوته... هناك كان يستطيع أن ينعزل بنفسه قليلا عن دنيا الناس لينغمس في دنياه التي يعشقها... دنيا "العلم".

هناك كانت أمهات الكتب والمخطوطات متراصة على أرفف سميكة متوازية... هناك كان المكتب الذي كان يجلس عليه لتأليف الكتب والتراجم... وأيضا هناك كان المعمل الذي يجري فيه أبحاثه وتجاربه.

كما أعدت له زوجته في ركن من أركان القبو فراشا صغيرا ليريح به جسده المنهك إن أراد... فكم دخلت عليه لتجده قد غلبه النعاس وهو يسطر شيئا أو يتصفح علما... وكلما قالت له "هون عليك ولا تقسو على نفسك ولترح جسدك قليلا " كان دائما يبتسم لها في رفق ويقول لها جملة سيده "مضى عهد النوم يا خديجة"!!!.

تعودت زوجته أن يقضي زوجها "ابن النفيس" أغلب وقته بالأسفل... كما أنه كان يغشاه بعض أصدقائه ومريديه وخاصته بقبوه... كان معظمهم يدخلون من باب المنزل الرئيسي ثم يصحبهم بنفسه إلى القبو أو ترسلهم هي إليه... والقليل هم من كانوا يعرفون موقع المدخل الخارجي للقبو فيطرقون بابه المغطى بالنباتات.

في عصر ذاك اليوم كان العالم "ابن النفيس" جالسا في وسط معمله وبجواره الحداد "حسن سليمان" يعكفان على تثبيت قطعة من الحديد

التي تبدو كالخطاف في زنبرك حديدي... وبينما هما منهمكان في عملهما إذ بباب القبو يطرق برفق من الخارج ثلاث مرات متفرقات ثم مرتين متتاليتين...

قال "ابن النفيس" بصوت هادئ: هذا "شهاب الدين"....

سأله "حسن" في أدب: أتأذن لي أن أفتح له؟!!

ابتسم "ابن النفيس" ابتسامة هادئة دون أن يحول نظره قائلا: بالطبع يا بني...

وضع "حسن" ما كان يمسكه برفق فوق المنضده وأسرع ليفتح الباب ليجد خلفه صديقه البطل "شهاب الدين" فأفسح له الطريق ليدخل ثم أغلق الباب خلفه بإحكام...

قال "شهاب الدين" وهو يخطو بخطوات بطيئة نحو "ابن النفيس": أرجو ألا أكون قد أزعجتكما...

انطلقت ضحكة خافتة من "ابن النفيس" قبل أن يقول "حسن" في صوت أجش: الحق أنك أتعبتنا بشدة...

التفت "شهاب الدين" له وقال بدهشة: حقا؟!!!

قال له "حسن" في غضب مصطنع: نحن تقريبا لم ننم منذ يومين لننجز لك ما طلبت... أنا تركت عملي الهام جدا... وسيدي "ابن النفيس" ترك ما كان يفع....

قاطعه "ابن النفيس" وهو يقوم من على مقعده: لو تركت تذمرك هذا لكان باستطاعتنا أن ننهي هذا الأمر منذ زمن...

اقترب "شهاب الدين" من صديقه "حسن" وربت على كتفه قائلا في ود ظاهر: أعلم كم أتعبتك معي يا صديقي العزيز ولكنك تعلم أن هذا الأمر أنا في أمس الحاجة إليه... وأنت أمهر من رأيت في حياتي في صناعة الحديد كأنما أوتيت مهارة داوود عليه السلام...

نظر له "حسن" في غضب طويلا ثم انفجر ضاحكا وهو يقول: هون عليك يا صديقي... أنا فقط أمزح معك... وإلا فما تكون طبيعة عملي "الهام" الذي تركته من أجلك... أنت أخي وصديقي ولو أعطيتك وقتي وجهدي كله لن يكون شيئا مقارنة بما فعلته معي... يكفي إنقاذك لحياتي أكثر من مرة... وآخرها يوم السم...

ضحك "شهاب الدين" قائلا: في الحقيقة من أنقذك من السم كان سيدي "ابن النفيس" بترياقه...

أتاهم صوت "ابن النفيس" من ورائهم وهو يقول في تواضع: هلا تركتما ذكريات الماضي وأتيتما لتساعداننني فيما أفعله...

تحرك "شهاب الدين" و "حسن" في سرعة تجاه " ابن النفيس" ليساعداه...

وفي نفس الوقت سمعا طرقا سريعا على الباب الرئيسي للمنزل ورجل يلهث لهثا شديدا هو يقول: سيدي...س...س...يدي...

سيدي...

أطرق ثلاثتهما السمع ليجدوا الباب وقد فُتح له وسمعاه يقول في ضعف: الطبيييب... الطبيب ممالك ال..ال.. البصرييي يريد ترياق... ترياق السموم... مننن... من سيدي ابن النفيس...

قالت زوجة "ابن النفيس" والتي كانت هي من قامت بفتح الباب له: هون عليك واهدأ... حالا سأرسل له... انتظر...

وقبل أن تدلف إلى باب القبو الداخلي وجدت "ابن النفيس" يخرج منه مسرعا لينظر ما يريد رسول الطبيب "مالك البصري"... فوصل إليه ليجده قد استطاع أن يهدأ قليلا فسأله: ما بك يا ولدي؟!!!

قال الرجل: معذرة سيدي ولكن الطبيب "مالك" يريد منك ترياق السموم على وجه السرعة لطفل صغير يظن أنه قد أصابه سم ما...

قال له "ابن النفيس": في الحال يا ولدي...

و التفت ليدخل إلى داخل المنزل ثم توقف فجأة كمن تذكر شيئا وقال للرجل: هل أتيت كل هذه المسافة جريا على قدميك...

قال الرجل: نعم سيدي... ليس لي فرس... وسأقطعها جريا في عودتي أيضا...

قال "ابن النفيس": في قلق: ولكن هذا قد يستغرق وقتا طويلا وقد يصيب الطفل ضرر...

قال الرجل: وما العمل؟!!

قال له "ابن النفيس": اذهب أنت إلى سيدك وعندما تصل إليه ستجد الترياق عنده بالفعل بإذن الله...

نظر له الرجل في دهشة وهم بأن يقول شيئا فلم يعطه "ابن النفيس" فرصة وقال له: هيا توكل على خالقك وثق فيما أقوله لك... هيا....

نظر له الرجل نظرة أخيره قبل أن يهرول مسرعا إلى منزل الطبيب "مالك البصري" مرة أخرى.

*****

"مريم"

جلس الخليفة "المستعصم بالله" على كرسي الخلافه في هدوء وهو يقول: كيف حالك يا أختاه؟!!!

ابتسمت له سيده تقف أمامه لم تتعد العقد الثالث من عمرها إلا من بضع سنوات... ومع ابتساماتها ضاقت عيناها الواسعتان جدا... فابتسم أخوها الخليفة وقال: ما زلت كما أنت يا أختي الجميلة... لا أزال أتذكرك كما أنت في مهدك الصغير تنظرين إلى بعينيك العسليتين الواسعتين تلك... وشعرك الكستنائي الغزير مسدل خلفك... وما أن ألاعبك وأضاحكك حتي تتطاير ضحكاتك الجميلة في الهواء كأعزب ألحان عزفت من أعظم العازفين... وكلما ضحكت أكثر كلما ضاقت حدقتا عينيك أكثر ...

ازدادت ابتسامة الأميرة "مريم" وضاقت حدقتا عينيها أكثر وأكثر وانحنت تقبل يد أخيها الأكبر في حنان وهي تقول: لم يضحكني أحد في حياتي مثلك يا أخي العزيز...

ثم رفعت عينيها إليه فنظر إلى وجهها البرئ الذي يغطيه النمش البرتقالي اللون فوق أنفها... ثم تنهد وقال: كم كنت أتمنى أن أرزق بطفلة في مثل براءتك...

تعالت ضحكات "مريم" وهي تهز كتفيها يمنة ويسرة في دلال طفولي

وتقول: ومن أكون أنا إذا؟!! ألست طفلتك الصغيرة؟!!!

ضحك الخليفة في وقار وهو يقول: بلى يا حبيبتي...

وبينما هما مستغرقان في كلامهما إذ طرق باب قاعة الخلافة حارس الخليفة الشخصي يستأذن بالدخول... فارتفع صوت الخليفة "المستعصم" قائلا: هلم يا "طارق"...

ففتح الباب رجل يرتدي حلة حديدية أنيقة تغطي معظم جسده الضخم ليبرز من فوق كتفيه رأس ذو شعر قصير وشارب كث... واقترب في خطوات ثابتة واثقة من الخليفة ليقول له: رئيس الوزراء "العلقمي" يطلب مقابلتك سيدي الخليفة...

نظر له الخليفة بنظرة لا تخلو من إعجاب وقال لأخته دون أن يحول النظر عن "طارق": تعلمين يا أختي العزيزة... "طارق" هذا من أشجع من رأيت في حياتي... وليس هذا فحسب... بل هو ذو أخلاق عالية... وفراسة نادرة... وأدب جم...

رفع "طارق" من قامته قليلا وهو يستمع إلى مديح "الخليفة" ونظر نظرة جانبية إلى الأميرة "مريم" فوجد وجهها جامدا لا يحمل أي ملامح من فرح أو غضب فأشاح بصره عنها سريعا وأكمل نظره إلى الخليفة الذي أكمل: .... وفوق كل هذا فهو حارسي الشخصي وأئتمنه على حياتي...

ثم نظر إلى أخته وقال: وحياة كل من أحب...

خفضت الأميرة بصرها لتنظر موضع قدميها ولم تقل شيئا...

فابتسم الخليفة ثم أشار إلى "طارق" بيده أن يدخل عليه رئيس الوزراء...

دار "طارق" بطريقة سريعه حول قدميه واندفع ليفتح الباب ليدخل "العلقمي" ثم خرج هو خارج القاعة وأغلق الباب خلفه...

دخل "العلقمي" وحلته السوداء تمسح الأرض خلفه وسار في خطوات سريعة وابتسامة كبيرة تعلو وجهه لتبرز أسنانا صفراء...

وفور أن رأت الأميرة تلك الابتسامة اللزجة همت بالانصراف... فبادرها "العلقمي" قائلا: إلى أين يا أميرتنا العزيزة؟!!!

نظرت له الأميرة "مريم" طويلا وتفحصت وجهه الذي كان مملوءا بالتجاعيد وشاربه الأبيض الذي يتصل مع لحيته القصيرة السوداء التى كانت في ذقنه فقط ثم قالت: لا أريد أن أكون سببا في إزعاج مولاي الخليفة أكثر من هذا...

ضحك "العلقمي" طويلا قبل أن يقول وهو يتحسس خده الأيسر الذي كانت فيه ندبة واضحة ثم قال: بل أدبك الجم يا أميرتنا العزيزة هو الذي يمنعك أن تقولي أنك لا تريدين أن أكون أنا سببا لإزعاجك اليوم...

رد هذه المرة الخليفة ليقول: لم تكن أبدا سببا لإزعاج أحد يا "علقمي"... قل لي... ما وراءك؟!!

قال له "العلقمي" وابتسامته لم تغادر شفتيه وهو لايـزال ينظر إلى الأميـرة: جئت لأهنيك سيدي على زيـارة وفـد المغول ولأضـع معك اللمسات الأخيرة لحفل الليلة...

نظرت الأميرة "مريم" في استغراب للخليفة ثم سألته: وفد المغول؟!! أجاء هنا وفد للمغول؟!!!

قال الخليفة: نعم يا مريم... جاء منذ بضعة أيام قبل قدومك...

أكمل "العلقمي" كلامه متجاهلا المحادثه الدائرة بين الخليفة وأخته: ما أحضروه لمقامكم الكريم من هدايا كان يليق فعلا بخليفة المسلمين...

نظرت له "مريم" في غضب ثم التفتت إلى أخيها وقالت: لماذا استقبلتهم يا أخي؟!!! ألا تعلم...

قاطعها "العلقمي" متجاهلا مرة أخرى كلامها قائلا: ولقد أكد لي قائد الوفد بنفسه أن الخاقان الأعظم يشتاق لزيارتك بنفسه...

ارتفعت الدماء في رأس الأميرة وتحول وجهها الأبيض إلى الأحمر الداكن من الغيظ وهي تقول في حدة: ألا تري أني أحادث الخليفة...

نظر لها "العلقمي" وقال لها في سخرية حاول جاهدا أن يخفيها: أرى هذا يا أميرتنا العزيزة... ولكني لا أرى لكلامك أي معنى...

نظرت له الأميرة في تحدي وقالت: ماذا تقصد؟!!!

قال "العلقمي" في هدوء: ما أقصده أني لا أعلم ماذا تريدين أن تقولي

حقيقة... ألا تعلمين عن من نتكلم؟!! إنه وفد المغول... القوة العظمى الآن في العالم... التي يتمنى جميع أمراء وملوك العالم أن يحالفوها... فهم يعلنوها صراحة دائما... إما أن تكونوا معنا أو تكونوا ضدنا... فما بالك إن قدم وفد رسمي من هذه الدولة يطلب ودنا وصداقتنا... أليس هذا نصرا وفتحا مبينا؟!!!

قالت الأميرة في سخرية: نصر وفتح مبين؟!!! ألا تعلم ماذا فعل هؤلاء القوم بأصدقائهم قبل أعدائهم من قبل؟!!

قال "العلقمي" في سرعة: كان هذا قديما... أما الآن فهم تحت قيادة الخاقان "منكو خان" والتي تقضي سياسته بمحالفة الجميع والسعي دائما إلى الصلح وإبرام الاتفاقيات والمواثيق... كما أن "هولاكو خان" المسؤول عن أمور الشرق هو شقيقه... وقد قطع عهودا ومواثيق معنا من قبل... ولا أظنه يستطيع أو يسعى لنقدها...

قالت له الأميرة وقد بدأ صوتها يعلو: أنت واهم... إن كانت هناك عهود ومواثيق مع هؤلاء فهم أصلا ليسوا أهلا لإعطائها وهم يجلسون على كراسي حكم بلاد ليست ملكهم... ونحن ليس لنا بقوة لحماية هذه المواثيق من الانقضاء أوالخيانة... وإن كنت أرى أن الخيانة تحديدا ليس بالضرورة أن تأتي من جانبهم...

ضاقت عينا "العلقمي" وهو ينظر لها في محاولة لاستيعاب مغزى ما قالته ثم قال وهو ينظر إلى الخليفة: عموما هذا هو دائما نظر النساء في السياسة وشئون إدارة البلاد... يظنون أن جميعها دسائس ومؤامرات

وخيانات كما هو الحال بين النساء بعضهن مع بعض...

صرخت الأميرة: ماذا تقول... هل جننت؟!!!!

ارتفع صوت الخليفة فجأة قائلا: مريم!!!!!

نظرت الأميرة إلى الخليفة ثم خفضت بصرها في خجل وهي تقول: معذرة سيدي الخليفة...

كانت عينا الخليفة متسعتين في غضب شديد وهو يحد النظر إليها ثم قال في غضب شديد: هذا رئيس وزراء الخلافة العباسية... هل تفهمين هذا؟!!!

لم تنطق "مريم" بشئ واستمرت في طأطأة رأسها إلى أسفل...

فضحك "العلقمي" ضحكة قصيرة خبيثة قبل أن يقول: لا عليها سيدي الخليفة... فحداثة عمرها تفضي إلى أكثر من هذا... بل أنا من أرغب منها أن تسامحني إن كان بدر مني –عن دون قصد– ما قد يغضبها...

رفعت "مريم" عينيها إليه دون أن ترفع رأسها ونظرت له في مقت وهو يكمل: ولقد كنت أدخر هذه الهدية الثمينة لأعطيك إياها في الحفلة ولكني أرى أن الآن هو وقتها لعلها تنسيك ما أغضبك مني...

قالها وهو يدس يده في عباءته السوداء ليخرج منها كيسا مخمليا له لون بنفسجي براق ويحيط عنقه شريط فضي لامع...

ثم أمسك هذا الشئ بكلتا يديه في تواضع وهو يخفض رأسه ويقربه

من الأميرة قائلا: هذا من أنفس وأجود ما يصنع في بلاد الفرنجة من كحل للأعين... أرجو أن تقبله الأميرة من خادم الخلافة المتواضع "العلقمي"...

نظرت الأميرة "مريم" إلى أخيها فوجدته ينظر لها نظره جادة... فخفضت رأسها في أسى ومدت يدها لتأخذ هدية "العلقمي" الذي قال فرحا: أرجو أن تحوذ على رضاء أميرتنا العزيزة وأن نشرف بوضع هذا الكحل فوق عينيها الجميلتين في حفلتنا الليلة...

نظرت الأميرة له في اشمئزاز ثم حولت بصرها إلى أخيها مرة أخرى فوجدته يومئ لها برأسه في حزم...

فشدت قبضتها على الهدية في غيظ ثم انصرفت لتخرج من القاعة وتابعها "العلقمي" بعينيه في نظرة ساخرة... ثم أعاد نظره إلى الخليفة مرة أخرى ليقول: والآن سيدي الخليفة... ماهي أوامرك فيما يخص حفلة عظمتك؟!!!

*****

" هند"

كادت شمس ذلك اليوم أن تبدأ رحلتها في المغيب عندما وصل رسول الطبيب "مالك البصري" أخيرا بعد عدو لمسافة طويلة من منزل العالم "ابن النفيس" إلى بيت الطبيب "مالك" في حي الأشجار... وعندما وصل وجد هناك فرسا يقف أمام البيت... فتجاوزه في سرعة وصعد درجات السلم ليجد الباب مفتوحا فاندفع داخله وهو يقول: سيدي الطبيب... لقد قال لي... لقد ققال ليي....

قال الطبيب "مالك": اهدأ يا نافع... اهدأ... لقد وصل الترياق بحمد الله...

نظر "نافع" إلى الطبيب ليجده واقف بجاور الرضيع الصغير الذي لم يتجاوز عمره العشرة شهور... ووجد بجانب الطبيب رجل طويل القامة... أشقر شعر الرأس واللحيه يقف بجانبه في أدب جم وعند رأس الرضيع الممدد على فراش صغير تجثو الفتاة ضئيلة الحجم التي جاءت به على ركبتيها...

قالت الفتاة في صوت ملئ رعبا: هل تظن أنه سينجو سيدي الطبيب؟!!!

رد عليها الطبيب "مالك" في هدوء: لا تقلقي يا أختاه... بإذن الله سيكون أخوك بخير...

ثم أكمل وهو يضع يده على كتف الرجل الأشقر: بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل هذا الفارس الشجاع الذي حرث الأرض حرثا بجواده ليصل إلينا بهذه السرعة التي لولاها لأصبحت حالة أخيك أصعب مما هي عليه الآن...

قالت الفتاة والدموع تنطلق من عينيها: حمدا لله... جزيت عني خيرا أيها الطبيب الكريم... وأنت أيضا سيدي "شهاب الدين"... لا أعلم كيف أشكرك جزاء كل ما قدمته لي...

تساءل الطبيب "مالك" في دهشة: إذا أنتما تعرفان بعضكما البعض!!!

قال "شهاب الدين" وهو يجلس على مقعد خلفه: نعم... هي تخدم والدتي منذ أن جاءت إلى المدينة...

تنهد الطبيب "مالك" ثم قال وهو يعيد الترياق إلى "شهاب الدين": الحمد أن قد جئت سريعا بالترياق... فجوادي ليس معي فقد أعرته لأخي ليذهب به ليبتاع بضاعة له من البصرة...

ثم أشار إلى مساعده "نافع" قبل أن يكمل: و"نافع" لا يملك فرسا... فلم يكن بمقدورنا إلا أن يذهب هو سريعا إلى سيدي "ابن النفيس" وأظل أنا بجانب الطفل حتى يرجع... فرزقنا الله بك لتأتي إلينا سريعا على جوادك وتكون سببا في نجاة هذا الطفل البرئ.

قالت الفتاة: اللهم لك الحمد... ظننت أني سأفقده...!!!

قال الطبيب "مالك" وهو يجلس بجوار "شهاب الدين": حفظه الله لك... ولكن حذاري أن تغفلي عنه في المرة القادمة...

سأله "شهاب الدين" في اهتمام: وما الذي قد ألم به؟!!

قال الطبيب "مالك": تناول بعضا من عسل النحل...

قالت الفتاة وهي تخفض رأسها في أسى: الحق أنه تناول الكثير....

ابتسم الطبيب "مالك" في اشفاق وقال: لا عليكي يا "هند" فأنتي لم تكوني تعلمين...

وضع "شهاب الدين" يده على كتف الطبيب "مالك" وهو يقول: أخبرني... كيف يحدث هذا؟!!

التفت الطبيب "مالك" إلى "شهاب الدين" وقال له: الأطفال دون عمر العام الواحد... وُجد أنهم إذا تناولوا عسل النحل يؤدي هذا عندهم إلى حدوث تسمم قد يؤدي إلى الوفاة...

ثم نظر خلفه وقال لمساعده "نافع": معذرة... نسيت أن أقدم لكم شيئا... "نافع"؟!! هلا أتيت بشراب بارد لضيفي الكريمين...

ثم ابتسم وأكمل: ولا تنس نصيبك فأنت أحوجنا لهذا الرواء...

قال "نافع" وهو يصعد سلم المنزل الداخلي: على الفور يا سيدي...

عاود الطبيب "مالك" النظر إلى "شهاب الدين" ثم أكمل حديثه له

قائلا: تبدأ الأعراض أولا في ضعف في عضلات الجسم مع صعوبة في الحركة... ثم يصل الأمر إلى صعوبة في الرؤية والكلام... ثم بعد ذلك قد يؤدي إلى....

لم يكمل "الطبيب" كلامه عندما لاحظ بطرف عينه النظرة المرتاعة التي ترتسم على وجه الفتاة "هند"... ولفت هذا أيضا انتباه "شهاب الدين" فحاول تغيير دفة الحديث قائلا: وهل يحدث هذا أيضا للكبار...

رد الطبيب "مالك" في سرعة: بسبب عسل النحل؟!!... في الحقيقة لا... ولكن هذا النوع من التسمم شوهد بسبب أشياء أخري كتلوث الجروح مثلا...

قالت "هند" وهي تقبل جبين أخيها في حنان: هذا خطئي فأنا التي أسترسلت في الحديث مع ابنة عمي عن حفل الليلة في قصر الخلافة ولم أعر أخي الرضيع اهتماما وهو يحبو بجوار قرة العسل...

سألها "شهاب الدين" في استغراب: ابنة عمك؟!!

قالت "هند": نعم... "سهيلة"... فهي إحدى وصيفات الأميرة "مريم" أخت الخليفة... وكانت تحدثني عن حفل الليلة والملابس الجديدة التي أحضرتها سيدتها من بلاد الفرنجة لنفسها... فسيدتها تسافر دوما إلى العديد من البلدان المختلفة لتحصل على الجديد من الأقمشة والملابس... وبالطبع تصطحبها معها...

ثم تنهدت "هند" وقالت: وبينما هي تريني فستانها الجديد التي أهدته لها سيدتها لترتديه في الحفل إذ بأخي "علي" ينهل من جرة العسل ونحن لا نشعر...

هبط "نافع" وهو يحمل ثلاثة كؤوس قدمها لثلاثتهم... فقال الطبيب "مالك" مازحا: أرى أنك ارتويت وحدك أولا يا نافع...

قال "نافع" في خجل: معذرة يا سيدي... كان الظمأ قد بلغ مني مبلغا....

ربت "شهاب الدين" على ساعده وهو يقول: أسأل الله ألا تذوق ظمأ في الآخرة...

ابتسم "نافع" وهو يقول: اللهم آمين...

بدأ الطفل "علي" في التحرك قليلا... فشهقت "هند" في فرحة وهي تقول: حمد الله... حمدا لله....

نظر الطبيب "مالك" إلى "شهاب الدين" ثم قال: هل لي أن أطلب منك عندما تعيد الترياق إلى سيدي "ابن النفيس" أن تطلب منه أن يصنع لي بعضا منه... فقد أحتاجه في يوم ما... وقد لا أجدك يومها عنده.

قال الطبيب "مالك" جملته الأخيرة مبتسما...

فهض "شهاب الدين" من مقعده وهو يقول: بل أنا تحت طوعك في أي وقت إن أردت سيدي الطبيب "مالك"....

ثم التفت "شهاب الدين" إلى "هند" وسألها ملاطفا: وأنت يا "هند" هل ستذهبين إلى الحفل مع ابنة عمك؟!!!

قالت "هند": حفل؟!!... أنا؟!!... ليس لي أن أحضره طبعا... فهي تحضره بصفتها وصيفة الأميرة... كما أن سيدتي "ناريمان" علمتني أن مثل هذه الحفلات التي يملؤها الصخب والرقص والمجون لا يصح لي أن أحضرها حتى إن سمح لي هذا...

رد الطبيب "مالك": نعم الرأي...

أكملت "هند": هذا صحيح... فالرجال هناك لا يتوقفون عن شرب الخمر... والنساء يكن في غاية التبرج... حتى أن ابنة عمتي قالت لي أن الأميرة نفسها ستضع يومها كحلا لم يرى مثله من قبل...

سألها الطبيب "مالك" في سخرية: لماذا لم يرى مثله من قبل؟!! أليس كحلا كسائر أكحال النساء؟!!

هزت "هند" كتفيها وقالت: لا أعلم... هي قالت لي هذا... كما قالت لي أن رئيس الوزراء "العلقمي" سيهديه بنفسه لها اليوم؟!!!

بدا الاهتمام على وجه "شهاب الدين" وهو يسألها: وكيف علمت أن "العلقمي" سيهدي للأميرة شيئا؟!!!

بدت علامات التفكير على "هند" ثم قالت: ممم... لا أعلم من أين عرفت هذا حقا... ولكنها كانت واثقة تماما من هذا... فلقد أخذت

تصف لي وقتا طويلا ليس فقط جمال هذا الكحل بل أيضا جمال وبهاء كيس المكحلة نفسها الذي أحضره فيه رئيس الوزا....

قاطعها "شهاب الدين" فجأة وهو يسألها: ما لونه؟!!!

تراجعت "هند" قليلا إلى الخلف وهي تسأل: لون ماذا؟!!!

رد "شهاب الدين" في سرعة: الكيس...

قالت "هند": قالت لي أن له لون بنفسجي براق ومحلى بشريطة فضية اللون...

بدت نظرة غاضبة من "شهاب الدين" ما لبثت أن اختفت قبل أن يقول للطبيب "مالك" في سرعة: معذرة سيدي الطبيب يجب على الانصراف حالا...

ناداه الطبيب "مالك" قبل أن يخرج من منزله وسأله: إلى أين؟!!

رد "شهاب الدين" وهو يلتفت بجانب وجه إلى الخلف: هناك حفل علي حضوره....!!!!

*****

"يعقوب الحاجب"

جلس قائد الجنود "علاء الدين" داخل قاعة الوزراء في قصر الخلافة وكان يجلس بجواره رجل قصير القامة نسبيا... أصلع الرأس إلا من بعض شعيرات فوق أذنيه... يضع ساقه اليمنى فوق اليسري...

وكانت هناك محادثة ما تبدو أنها على قدر كبير من الأهمية تدور بينهما... ويعضض هذا ملامح الجدية والغضب التي ارتسمت على وجه القائد "علاء الدين"...

وفي وسط محادثتهما فتح باب القاعة ليدخل إليها "العلقمي" بحلته السوداء... ثم أغلق الباب خلفه واقترب من الرجلين اللذين ما إن رأوه حتى هبوا من مجلسهما ليقفا حتى جلس "العلقمي" على مقعد رئيس الوزراء ثم جلس القائد "علاء الدين" عن يمينه وجلس الرجل الآخر عن يساره.

نظر "العلقمي" نظرة غاضبه إلى القائد "علاء الدين" وشبك يديه أمامه على المنضدة ولم ينطق بشئ...

فتنحنح القائد "علاء الدين" وهو يميل برقبته قليلا إلى اليسار ثم قال: احمم... أعلم أني أغضبتك كثيرا سيدي في الفترة الماضية... ولكن ثق أن هذه المرة سوف ....

قطع القائد "علاء الدين" كلامه وهو ينظر في رعب إلى وجه "العلقمي" الذي ازداد غضبا على غضب... فأسرع يقول وهو يتلعثم: سسوف... هذه... هذه المره سوف أعثر عليه وأقتله...

أطال "العلقمي" نظرتة الغاضبة دون أن ينطق بشئ إلى "علاء الدين" الذي أخذ يبلع ريقه بصعوبة ولا يستطيع الكلام...

ثم تجاهله "العلقمي" ونظر إلى الرجل الآخر وقال: وهل علم الوزير "يعقوب" أيضا بهذه المهازل التي تحدث في مدينتا؟!!!

ضحك الوزير "يعقوب الحاجب" ضحكة صفراء قبل أن يقول: لا عليك سيدي... فهذا الأحمق الذي ظهر بالمدينة لن تطلع شمس الغد أو بعد الغد إلا وهو مقتول كما وعدك قائد جندنا...

نظر "العلقمي" أمامه في حزم وهو يقول دون أن يوجه بصره إلى أي منهما: أريده حيا...

قال "علاء الدين" في سرعة: بالطبع... بالطبع يا سيدي... سأحضره لك حيا...

نظر له "العلقمي" في استهزاء ثم قال: وكيف تنوي أن تفعل هذا يا أيها القائد؟!!!

قال "علاء الدين" في سرعة: مدينة أور!!!

بدأ الغضب ينقشع من وجه "العلقمي" قليلا وهو يقول: مثلما فعلنا مع "النورس"؟!!!

أومأ "علاء الدين" برأسه في حزم... فقال "العلقمي" في حزم: أرى أن عقلك وحكمتك بدأت تعود إليك بعض الشئ يا "علاء الدين"..!!!

قال "علاء الدين" وهو سعيد أن غضب "العلقمي" قد هدأ قليلا: أعدك يا سيدي أن تقر عيناك بما أفعله كما كانت تفعل من قبل...

قال له "العلقمي" في حزم: حسنا... والآن إذهب أنت لتتأكد من جاهزية القصر للحفل...

نهض "علاء الدين" في نشاط وهو يقول: على الفور يا سيدي...

ثم خطا مسرعا ليخرج من القاعة وأغلق الباب خلفه...

تبدل وجه "العلقمي" ليسأل الوزير "يعقوب" في اهتمام: هل أعددت الرجال؟!!!

مال "يعقوب" بجسده ناحية "العلقمي" وهو يقول: بالطبع ياسيدي... رجالي مستعدون كما أخبرتك... ولكن...

قال "العلقمي": ولكن ماذا؟!!!

تردد "يعقوب" لحظة قبل أن يقول: خروج عربتي من وسط الحفل دوني قد يثير الشكوك... وأنت تعلم أن حرس الخليفة وعلى رأسهم هذا الفارس "طارق" قد يتساءلون عن...

قاطعه "العلقمي" بإشارة من يده وهو يقول: لا عليك منهم...

قال "يعقوب" في خوف: ولكنك تعلم يا سيدي إن فتح أحدهم العربة أو رأى من بداخلها قد يؤدي هذا إلى...

ولم يكمل "يعقوب" جملته من فرط الخوف...

تنهد "العلقمي" وهو يهز رأسه يمنة ويسرى وقال: لا فائدة فيكم... ستظلون دائما جبناء...

قال "يعقوب": ولكن يا سيدي...

أشار "العلقمي" له بيده ليصمت ثم قال: ليس هناك مجال الآن للكن...

ثم تنهد قبل أن يكمل: مر رجالك أن يكملوا مهمتهم كما اتفقنا... وأن يستخدموا عربتي الخاصة... سيجدونها في الساحة الخلفية للقصر دون سائقها... ومرهم أن يسدلوا ستائرها السوداء وهم يمرون عبر بوابة القصر وفي مسيرهم في المدينة إلى أن يبلغوا الموضع المتفق عليه... هل تفهم؟!!!

بدت ملامح الارتياح على وجه "يعقوب" وهو يقول: نعم الرأي سيدي... فلن يجرؤ أحد أن يوقف أو يشك في عربة رئيس الوزراء...

ثم سأله: ولكن كيف ستعود أنت يا سيدي دون عربتك؟!!

نهض "العلقمي" وهو يقول: لا تشغل بالك بهذا... فقط افعل ما عليك فعله...

نهض "يعقوب" سريعا وهو يقول: لن أخذلك يا سيدي....

ثم انصرف مسرعا.

*****

"الحفل"

"حفل قصر الخلافة"...

جملة طالما ترددت في هذا الزمان لتعلن عن الحدث الذي ينتظره الجميع مرتين في كل عام ...

الحفل الذي كان يصرف عليه آلاف الدنانير وتطهى فيه أشهى المأكولات وتسقى فيه جميع أنواع السقيا...

يأتي إليه جميع وجهاء بغداد كما أنه يحضره أمراء ووزراء وأثرياء الدول المجاورة... بل إن بعض أمراء الفرنجة وملوك الروم يأتون لحضور الحفل على الرغم من الخلافات القديمة بينهم وبين الخلافة العباسية...

لم يكن للعامة طبعا أي حظ أو نصيب من الثروات التي كانت تنفق في هذا اليوم... بل لم يكن لهم الحق حتى في التجول قريبا من القصر في يوم الحفل...

فحراس الخلافة كانوا يمنعون أي مخلوق من الاقتراب من القصر منذ صبيحة يوم الحفل وإلى صبيحة يومين بعد الحفل حتى يتأكدوا أن جميع من قام بحضور الحفل قد غادر...

يبدأ توافد حاضري الحفل عادة بعد مغرب الشمس... ويستمر الحفل إلى قبيل شروق شمس اليوم التالي بدقائق قليلة...

انتشر في ذلك اليوم حراس الخلافة وجنود القائد "علاء الدين" في محيط قصر الخلافة... ووقف على بوابة القصر خمسة حراس أشداء... يتأكدون من هوية كل من يقترب منها ويسمحون فقط لمن يعرفون من شخصيات هامة أو مذكر اسمهم في لائحة المدعويين أن يدخلوا...

توافدت العديد من العربات التي تحمل بداخلها الكثير من الشخصيات الهامة... أول من حضر كان الأمير "الناصر يوسف" أمير حلب ودمشق... الذي كان رجلا طويل البنيان... رفيعه... ذو لحية مصبوغة بالسواد يلبس حلة فضية اللون وعمامة بيضاء مزدانة بالنفيس من الحلى...

ترجل من عربته في خيلاء واضحة ليسير بخطوات واثقة بين الحراس الخمسة الذين انحنوا له احتراما وتبجيلا...

ولم يمض الكثير من الوقت حتى وصلت العربة التي تقل الأميرين "بوهمند" و "هيثوم" أميرا أنطاكيا و أرمينية...

ووصل أيضا في إثرهما الأميران "كيكاوس الثاني" و "قلج أرسلان الرابع" أميرا الاناضول...

ومن جملة من حضر الحفل من المشاهير... "ركن الدين" حفيد "حسن الصباح" زعيم طائفة الحشاشين و الأمير "بدر الدين لؤلؤ" أمير الموصل والملك "المغيث عمر" أمير مدينة الكَرَك.

كما حضر العديد من الأثرياء والتجار من الموصل ودمشق وحلب

واليمن.... وهؤلاء – وإن لم يكونوا جميعا على وفاق بل إن بعضهم قد عادى وحارب البعض الآخر – لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من الحضور لمشاهدة عاصمة الخلافة وقصر الخلافة العظيم... وربما حضر بعضهم تزلفا... وربما حضر البعض الآخر تجسسا...

وبينما تتوالى عربات القوم في الحضور... إذ بعربة كبيرة تقف أمام البوابة ليتدلي منها رجل أشيب الشعر يهم بالدخول... فاستوقفه الحراس الخمسة قائلين: من أنت؟!!!

نظر لهم الرجل باستغراب وقال: من أنا؟!!!... ألا تعلمون أنا؟!!! ... ما هذا؟!!!

قال أحد الحراس في حزم: معذرة سيدي ولكنك لن تستطيع دخول القصر إلا أن تكون مدعوا...

قهقه الرجل في عصبية ثم قال: ومن أخبرك أني لست مدعوا... انظر جيدا إلى وجهي... ألا تعلم من أنا؟!!!

اقترب الحارس من وجه الرجل في حذر ثم قال: معذرة... ما هو أسمك؟!!

هم الرجل في الصياح غاضبا إلى أن فاجئه صوت عميق من خلفه يقول: كيف تسأل يا هذا عن اسم كبير تجار دمشق... "فهد الدمشقي" !!!

نظر كبير تجار دمشق في غرور خلفه بعد أن سمع أخيرا من يعظم من شأنه فوجد رجلا ضخما تبرز بطنه أمامه لمسافة كبيرة ويرتدي حلة لم

يرى في بهاءها وحسنها من قبل... كما أن عمامته تتدلى منها اللالئ بشكل عجيب... وفوق عينه اليمنى عصابة سوداء....

أكمل هذا الرجل الغريب مشيته في صعوبة وهو يمسك ببطنه الضخمة بكلتا يديه ويقول: معذرة... فثقل وزني يجعل خطواتي ثقيلة بعض الشئ...

ثم نظر إلى الحراس وقال يصوت لاهث: "فهد الدمشقي" أغني وأعظم رجل في دمشق والشام كلها لا ينبغي أن يخاطب هكذا...

نظر الحراس بعضهم إلى بعض في توتر خائف... وانتفخ أكثر "فهد الدمشقي" عجبا وغرورا وهو يستمع إلى كلام الرجل الغريب وهو يكمل: إن لم يكن هو أول أسم في المدعوين فمن من حقه أن يسبق اسمه اللهم إلا الخليفة شخصيا...

ثم انفجر ضاحكا بأسلوب مسرحي سخيف جعل أحد الحراس يتجرأ ويسأله في لهجة لم تختف منها رائحة التوتر والخوف: ومن... ومن تكون أنت؟!!!

توقف الرجل عن الضحك فجأة ونظر إليه متعجبا ثم عاود الضحك بصوت عال قبل أن يقول: من أنت؟!!!.... يا ولدي... كف عن سؤالك "من أنت" هذا وإلا أصابك ما تكره!!!

وقبل أن يسأل الحارس سؤالا آخر إذ بالرجل ينظر فجأة إليه في غضب ثم يصرخ فيه صرخة هادرة ويقول: أنا "ابن التركمان"... كبير تجار

الاناضول!!!

ارتد الحارس إلى الخلف في فزع وهم بأن يقول شيئا ولكن كبير تجار دمشق "فهد الدمشقي" بادره قائلا: يا بني... كفاك ما لقيناه اليوم منك... هل تريد أن نذكرك بسوء عند الخليفة؟!!!

اندفع زميلا للحارس من خلفه وهمس بإذنه وهو يشير إلى شئ في دفتر يحمله: "فهد الدمشقي" يا سيدي....

بلغ ما قاله مسامع "فهد" فقال: ولو بحثت بحرص مرة أخرى فلسوف تجد حتما اسم هذا السيد الكريم...

بدا التوتر ينجلي عن وجه الحارس... ثم انحنى وهو يقول: أرجو أن تغفرا لي خطئي...

قال "ابن التركمان" وهو يمسك ببطنه في صعوبة: سأغفر لك إن بعثت معي من يحمل عني هذه الحقيبة الثقيلة التي أحضرتها للأميرة...

قالها وهو يشير إلى حقيبة قماشية خضراء ملقاه خلفه على الأرض...

أشار الحارس إلى زميل له وقال: "أنس"... احمل حقيبة سيدي كبير تجار الاناضول معه إلى الداخل ومر أحدا من الخدم أن يحملها له طوال الحفل أينما يريد سيدي...

ثم ابتسم الحارس ابتسامة محبطة في وجه "ابن التركمان" طالبا رضاه...

حمل "أنس" الحقيبة ثم استند "ابن التركمان" على كتفه قائلا: معذرة

يا ولدي... لن تحمل الحقيبة فقط... لعنة الله على الشبع!!!!

ثم علا صوته ليصرخ في جنون: ألا لعنة الله على الشبع!!!!

وارتفع صوته بالضحك مرة أخري...

وبدأ في المسير على يمين "فهد الدمشقي" الذي مال على أذنه اليسرى قائلا: أنه لمن دواعي سروري البالغ أن ألتقي الليلة بك... فكم كنت أطمح أن تمتد علاقاتي وصدقاتي بالأتراك... وها أنا ألتقي بكبير تجارهم... لعل هذا يكون بداية علاقة تجارية مربحة لكلينا...

لهث "ابن التركمان" قبل أن يقول: بالطبع... هههه... بالطبع يا عزيزي....

ثم أكمل وهو يربت على بطنه الضخم: مربحة ومشبعة أيضا....

ثم عاود الضحك في جنون وهو يردد: الشبع ... الشبع... الشبع!!!!!

ضحك معه "فهد الدمشقي" مجاملة... ثم دخل ثلاثتهما إلى داخل القاعة....

وعند مدخل القاعة نادى الحارس "أنس" على أحد الخدم قائلا: يا "عباد"... تعال إلى هنا...

أتاه رجل نحيل من الخدم سريعا وهو يقول: نعم يا سيدي...

أشار "أنس" باحترام إلى "ابن التركمان" وهو يقول: هذا كبير تجار

الاناضول... لا تنشغل عنه بشئ الليلة... واحمل عنه هذه الحقيبة أينما أراد... هل تفهم؟!!!

أومأ الخادم :عباد" رأسه قائلا: بالطبع يا سيدي...

التفت "فهد الدمشقي" إلى "ابن التركمان" قائلا: أرجو أن تسمح لي أن أذهب لأرتوي قليلا صديقي العزيز... فلقد أنهكني الحوار مع الحراس وأرغب في أن أستمتع قليلا بشراب الخلافة قبل أن تصل الراقصات.

قال "فهد" كلمته الأخيرة وهو يغمز بإحدي عينيه...

قهقه "ابن التركمان" وهو يقول: أما أنا فأرغب في أكون بكامل حضور عقلي قبل حضورهن... ما أريده حقا الآن أن أشبع هذه البطن المسكين... هههههه....

ثم أشار إلى "فهد" وأكمل: اذهب أنت وسألحق بك...

ابتسم له "فهد" ثم انصرف عنه....

وقف "ابن التركمان" ينظر في وجوه الحضور وبدأ يتكلم بصوت خفيض ويقول: هذا هو الأمير العظيم حفيد "صلاح الدين الأيوبي" حاكم حلب ودمشق... وأيضا... أووووه... من هنا أيضا؟!!! نعم... نعم... هذا الذي يشير له بود من بعيد أيضا هو "هيثوم"... نعم الصحبة...

ثم دار برأسه إلى الجهة اليمنى من القاعة ليجد زعيم تجار بغداد " عدنان

الكوفي" يتجه مسرعا إلى موضع "فهد الدمشقي" ويصافحه في حرارة استقبلها "فهد" ببرود غاضب فارتسمت على شفتي "ابن التركمان" ابتسامة ساخرة...

ثم اشرأب بعنقه خلفهم ليجد "ركن الدين" زعيم الحشاشين يهمس في أذن أمير الموصل وهما يحدا النظر إلى أمير عكا....

فعقد "ابن التركمان" حاجبيه في اهتمام وبدأ في التحرك صوبهما وتبعه الخادم "عباد" بحقيبته...

وبينما هو في طريقه تناهى إلى مسامعه صوت القائد "علاء الدين" من جهة اليسار وهو يقول في غضب: لا... هذا غير صحيح...

فنظر ناحيته ليجده واقفا بجوار وزير الحسبة "يعقوب الحاجب" و معهما وزير الترسيل "سليمان شاه" ....

وسمع "علاء الدين" وهو يقول في حدة: ليس هناك من يستطيع أن يفعل هذا...

قال له "سليمان شاه" في هدوء: ولكنك تعلم أن الكثير من العامة رأوه بالفعل...

ثم أشار "سليمان شاه" إلى "عدنان الكوفي" الذي كان قد اقترب منهم وقال: وها هو زعيم التجار يستطيع أن يخبرك بنفسه... فلقد أخبرني بعض حراسي أن بضاعة له قد أحرقها هذا الفتى ليلا ولم يعثر له بعدها على أدنى أثر...

كان "عدنان" قد وصل بجاورهم فوجد "سليمان" يهتف به قائلا: أليس كذلك يا "عدنان"؟!!!

نظر له "عدنان الكوفي" نظرة متسائلة... فحام حوله "سليمان شاه" وهو يقول: ألم يحرق رجل ذو عين زرقاء بضاعة كانت لك؟!!!

نظر الجميع إليه فارتبك "عدنان" ولوح بيديه كأنما يحاول أن ينفي تهمة ما عن نفسه قائلا: بضاعة لي؟!! لا... لا... لم تكن لي...

أكمل "سليمان" وهو ينظر هذه المرة إلى "علاء الدين" قائلا: كان الوقت ليلا وأحال هذا الرجل الغريب الليل إلى نهار ساطع خارج المدينة بحريق يشبه...

توقف "سليمان" عن الكلام ليحدق في وجوه الجميع قبل أن يكمل: يشبه الشهاب!!!

قال "علاء الدين" في قوة وعناد: لا وجود لهذا الشخص.!!!

أكمل "سليمان" متجاهلا "علاء الدين": سمعت البعض يطلقون عليه لقب "الشبح"...!!!!

تحاشا "عدنان الكوفي" النظر إلى أي منهم ثم اندفع يقول متوترا ليعزف على نفس وتر قائد الجنود: وهل هناك في الحقيقة وجود للأشباح؟!!!

قلب "سليمان شاه" كفيه في براءة وهو يقول: أنا فقط أنقل ما سمعت... لا أكثر...

قال الوزير "يعقوب الحاجب" : أرى أن هذا الكلام لا طائل منه... فلو حتى سلمنا بوجود شخص مثل هذا... فلا أظنه إلا مجنونا أو سارقا لن يلبث أحد من جنود قائدنا "علاء الدين" أن يأتي به يرسف في أغلاله...

ثم أكمل وهو ينظر إلى الجميع: هذا إن كان شخصا حقا...

ثم قال بسخرية موجها كلامه إلى "سليمان شاه" : وليس شبحا...

وقبل أن يرد عليه "سليمان شاه" تابع "يعقوب" في سرعة: هيا ... هيا... اتركوا حديث أمور الخلافة والسياسة... فاليوم يوم حفل... يا "عدنان"... أين النساء الجميلات التي وعدتنا أن تحضرهن للرقص الليلة...

انتفض جسد "عدنان" ثم تحرك بعيدا في سرعة هربا من هذه المحادثة وهو يقول: في الحال سيدي... سيأتين في الحال...

نظر "ابن التركمان" الذي كان يتابع الموقف من قريب إلى "عدنان الكوفي" وهو ينصرف بعيدا ... ثم التفت إلى الموضع الذي كان يقف به أمير الموصل وزعيم الحشاشين فوجده خاليا من أي منهما... فتنهد وقال بصوت خفيض: ربما لاحقا...

*****

"سهيلة"

جلست الأميرة "مريم" في حجرتها الخاصة أمام مراتها وأخذت تصلح من وضع خمارها على رأسها وهي تتمتم ببعض كلمات غير مفهومة...

جاءها صوت وصيفتها "سهيلة" من خلفها وهي تقول: ستبهرين الجميع بجمالك في حفل الليلة يا سيدتي...

ثم أكملت قائلة: ليت أختي "نهلة" هنا لترى هذا الجمال الأخاذ مثلما أراه أنا الآن...

قالت لها "الأميرة" وهي تنظر إلى انعكاس صورة "سهيلة" في المرآة: هل ما زال زوجها مريضا؟!!!

أسرعت "سهيلة" في الرد قائلة: نعم يا سيدتي... ولقد أبلغتني أن أخبرك عن مدى أسفها عن عدم تمكنها من خدمتك الليلة معي...

نظرت الأميرة "مريم" لوجهها في المرآة ثم زفرت زفرة طويلة قبل أن تعود لتتمتم مرة أخرى بكلمات لم تلتقط منها "سهيلة" إلا: حفل... لهو... أمة... ضياع...!!!

قالت سهيلة وهي تقترب من الأميرة: معذرة سيدتي... هل هناك خطب ما؟!!!

قالت الأميرة في عصبية: حفل وراء حفل وراء حفل... ماذا نجنيه من كل هذا اللهو؟!! أليس أجدر بنا أن نلتفت لما ينتشل هذه الأمة من الضياع الذي ألم بها!!!

صمتت "سهيلة" ولم ترد... فعاودت الأميرة إصلاح خمارها وهي تقول: وايم الله لولا أني لا أريد أن أغضب أخي مني لتركت هذه البلاد منذ زمن بعيد!!!!

أتتها "سهيلة" من خلفها ووضعت كفيها على كتفي الأميرة وهي تقول: لا تقولي هذا يا أميرتي... فأنت تعلمين مدى حب الخليفة لكِ... أنت دائما ما تقولين أنه لا يضحكك أحد قط مثله!!!

قالت الأميرة بلهجة تملأها الحسرة: ولا يبكيني أيضا أحد قط مثله...

قالت لها "سهيلة" في حنان: ولكنه يحبك... وأنت تعلمين ذلك... وتعلمين أنه يريدك دائما أن تبدين أمام الجميع بأجمل مظهر وحال... وإلا لم يوافق على سفرك المتكرر إلى بلاد الفرنجة للحصول على الجميل والجديد من الثياب وأدوات الزينة...

قاطعتها الأميرة وهي تقول مؤنبة نفسها: وهذا حظ شيطاني مني الذي لا أستطيع أن أكبحه...!!!

قالت "سهيلة": ولما الكبح؟!!! أهل التزين ولبس جميل الثياب من المنكر؟!!!...

تنحنحت الأميرة وقالت: ليس منكرا ولكن...

قاطعتها "سهيلة" دون أن تنتبه لما في ذلك من تعد منها على أميرتها قائلة: الله يحب الجمال... وهذا ما لايستطيع أحد أن ينكره... كما لا يستطيع أحد أن ينكر أيضا أنك ستكونين اليوم نجمة الخلافة الساطعة...

ابتسمت الأميرة لتحويل مسار الكلام الذي قامت به "سهيلة" ثم قالت وهي تنظر إلى صورتها في المرآة: لوددت أن أكون قمرا محاقا لا أن أكون نجمة أحد...

لم ترد "سهيلة" هذه المرة بل قربت وجهها من وجه الأميرة ونظرت إلى عينيها وقالت: هل أحضر لك الكحل؟!!!

نظرت الأميرة بعينيها إلى أعلى وهزت رأسها يمنة ويسرة معلنة فقدان الأمل في أن يفهم أحد حقيقة ما تشعر به من صراع بداخلها ثم قالت: هاته يا "سهيلة"...

ابتعدت عنها "سهيلة" قليلا ثم ناداتها وهي تفتح درجا خاصا بالمكاحل: أحضر لسيدتي أي لون من الكحل؟!!!

ردت عليها الأميرة في نفاذ صبر: أي شئ ...

قالت "سهيلة": وماذا عن كحل رئيس الوزراء الجديد؟!!!

تنهدت الأميرة تنهيدة غاضبة ثم قالت: لماذا ذكرتيني به؟!! فقد كنت

نسيته بالفعل!!!

اقتربت منها "سهيلة" وهي تمسك بالكيس البنفسجي الذي يحتوي على المكحلة وقالت: ولكنك أخبرتني أن سيدي الخليفة سوف يغضب إن لم تضعي منه الليلة...

قالت الأميرة وهي تجذب منها الكيس بعنف غاضب: أعلم هذا...

ثم نزعت الشريط الفضي و فضت الكيس بعصبية لتخرج من داخله مكحلة ذهبية اللون غريبة الشكل... فأمسكتها بطرف إصبعيها السبابة والإبهام في اشمئزاز... ثم وضعتها على منضدتها أمام المرآة...

أخذت الأميرة تنظر إلى المكحلة في تردد ووصيفتها "سهيلة" تراقب الموقف بهدوء دون أن تنطق بشئ...

ثم حزمت الأميرة أمرها وأمسكت بالمكحلة وقربت وجهها من المرآة... وفتحت رأس المكحلة وأخرجتها وقربتها من جفونها وهي تنظر إلى اللون الغريب الذي تحمله وهي تقول: أول مرة في حياتي أرى مثل هذا اللون...

ثم أمالتها برفق وهي تضع منها فوق جفنها الأيمن بحرص... ثم نظرت في المرآة وقالت: عجبا... هذا اللون جميل حقا...

قال "سهيلة" في حماس: بالفعل يا سيدتي لقد زادك بهاءا وجمالا...!!!

أعادت الأميرة وضع الرأس داخل المكحلة مرة أخرى وأدارتها لتزيد من

تعلق الكحل بها ثم نزعتها وقربتها من جفنها الأيسر... وما إن مررته على جفنها حتى صرخت صرخة قصيرة متألمة...

اندفعت نحوها "سهيلة" وهي تقول: ما بك يا سيدتي؟!!!

نظرت الأميرة إلى رأس المكحلة في استغراب وقالت: شعرت بشئ شائك يجرح جفني...

ثم نظرت إلى المرآة لتجد جرحا بسيطا على جفنها تسيل منه الدماء مختلطة باللون الأزرق للكحل...

قالت "سهيلة" وهي تجري إلى الخلف: انتظري يا سيدتي سأحضر لك منشفة لنوقف بها هذا النزيف...

بدأت "سهيلة" في فتح وإغلاق العديد من الأدراج خلف الأميرة... وبينما هي مشغولة بالبحث سمعت الأميرة من خلفها وهي تقول في ضعف: لا أعلم لماذا أشعر بهذا التعب فجأة....

ثم أكملت وهي تمسك برأسها وتتجه إلى سريرها: كأني لم أنم منذ زمن بعيد...

ووضعت جسدها على السرير ومالت بظهرها عليه وهي تقول: ماذا حدث؟!!!

حاولت أن تحرك رأسها قليلا وهي تقول: أين أنت يا سهيلة؟!!... أين أنت؟!!

ثم فجأة شعرت بوصيفتها خلفها على سريرها وهي تكمم فمها بقطعة من القماش... حاولت الأميرة جاهدة أن تتملص منها ولكنها كانت تشعر أنها ضعيفة جدا لا تقوى على ردعها...

وفي لحظات كانت "سهيلة" تمكنت من ربط قطعة القماش بإحكام خلف رأس الأميرة لتتركها ممدة على سريرها وتترك حجرتها وتغلق بابها خلفها...

*****

"ابن التركمان"

بـدأت الراقصات في الـدخـول إلـى قاعة الحفل الـذي لـم يكـن يضـم الخليفة بعد الذي اعتاد أن يدخل إلى قاعة الحفل قرب نهايته قليلا ثم ينصرف...

نظر "ابن التركمان" إلى القاعة من جانبها في ازدراء وحسرة...

فمن راقصات تتمايل... ومعازف تـتـردد... وطبول تـدق... إلى كئوس تدار... وضحكات تتعالى لتملأ جو المكان بسواد كئيب لايراه حقا إلا من طاب عقله وسمت روحه...

ثم التفت حوله في ضيق ليجد "فهد الدمشقي" وهو يقف بجوار "عدنان الكوفي" ينظران ولعابهما يكاد يسيل من طرفي فمهما إلى إحدى الراقصات... فتحرك ناحيتهما في بطء...

لمح "فهد الدمشقي" بطرف عينه فغمز صاحبه بمرفقه هامسا له في أذنه: هذا الرجل القادم ناحيتنا هو "ابن التركمان"... هل تعرفه؟!!!

نظر "عدنان الكوفي" إلى "ابن التركمان" الذي يتقدم بإتجاههما ثم هز رأسه نافيا...

أكمل "فهد" هامسا: يقول أنه كبير تجار الاناضول... لطالما أردت أن تتوسع تجاراتي إلى هناك... بيد أن هذا الرجل غريب الأطوار بعض الشئ...

قال "عدنان" هامسا: كيف؟!!!

لم يعطه "فهد" جوابا وهو يوجه الكلام إلى "ابن التركمان" الذي وقف أمامه وهو يبتسم: كيف حال كبير تجار الاناضول في حفل الخلافة... أرجو أن تكون مستمتعا بوقتك هنا...!!

تلفت "ابن التركمان" حوله ثم قال في استياء: ليس كما تظن...

قال "فهد" متعجبا: ألا تنظر خلفك قليلا لتشاهد الحوريات اللاتي يملأن القاعة بهجة؟!!

تنهد "ابن التركمان" قبل أن يقول: ليس هذا ما أريد أن أشاهده الآن....

سأله "عدنان الكوفي" وهو ينظر إلى عينه المعصوبة في شك: فما هو إذا؟!!

تدخل "فهد" قائلا وهو يضع ساعده على كتف "عدنان": هذا سيدي هو كبير تجار بغداد "عدنان الكوفي"...

نظر له "ابن التركمان" وهو يبتسم ثم قال: وهل يحتاج رجل عظيم مثل "عدنان الكوفي" إلى تعريف؟!! ... هذا الرجل الكريم أظنه أشهر من الخليفة ذاته...

انتفخ صدر "عدنان" وهو يستمع إلى مديح "ابن التركمان" الذي تغير وجهه فجأة وهو يمسك ببطنه الكبيرة ويصرخ في وجه "عدنان" قائلا:

أين الطعاااااام؟!!!

ارتد رأس "عدنان" إلى الخلف من صرخة "ابن التركمان" الذي أكمل في توتر: ألا تأكلون هنا في بغداد أم أنكم تظنون أن النظر إلى النساء يشبع البطون؟!!!

تبادل "عدنان" و"فهد" النظر ثم انفجرا ضاحكين وهما ينظران إلى "ابن التركمان" ثم قال "فهد" وهو يحاول أن يستجمع أنفاسه من الضحك: لا... لا عليك... الطعام سيأتي حالا...

دفع "ابن التركمان" برأسه ناحيتهما فجأة ليقول في صوت خفيض كأنه يخبرهما بسر كبير: إحذرا أن تكثرا من التهام الطعام فقد يسبب لكما الأمراض والتخمة و... والشبع...!!!!

انطلقت ضحكاته العالية إلى أعلى وهو يردد في جنون: الشبع... الشبع... الشبع...!!!

نظر الرجلين إلى بعضهما البعض في استغراب قبل أن يتوقف "ابن التركمان" عن الضحك فجأة لينظر إليهما ويقول في جدية: أريد أن أفرغ بطني قبل أن يأتي الطعام... إلى أين أذهب؟!!!

قال "عدنان": هناك في مؤخرة القاعة بعض....

قاطعه "ابن التركمان" قائلا: لا عليك... لا عليك... سأطلب من هذا الفتى "عباد" أن يرشدني... حسنا... حسنا... أراكما لاحقا...

وتوجه "ابـن التركمان" ناحية الخـادم "عباد" تاركا خلفه "فهد" و "عدنان" والأول يسأل الثاني: غريب الأطوار... أليس كذلك؟!!! ليرد عليه الثاني قائلا: بلى...

قال "ابـن التركمان" للخادم "عباد": يا بني... أين مخدع الأميرة "مريم"؟!!!

تردد "عباد" لحظة قبل أن يقول: بالطابق العلوي يا سيدي...

قال "ابن التركمان": حسنا... أريد منك أن تأخذني إليها...

نظر له "عباد" متعجبا فأكمل "ابن التركمان" قائلا: كنت قد وعدت الأميرة أن أحضر لها اليوم بعضا من أقمشة الاناضول الثمينة...

ثم أشار إلى الحقيبة التي يحملها له "عباد" وهو يزفر ثم قال: وأنت تعلم ضخامة هذه الحقيبة ولا أريد أن أتعبك بحملها أكثر من ذلك...

قال "عباد": ولكن يا سيدي ليس مسموحا لأحد أن يصعد إلى مخدع الأميرة إلا...

قاطعه "ابـن التركمان": يا بني أنا شيخ كبير كما تـرى... ذو عين واحـدة... وقد انهكني هذا الحفل بالفعل وأريـد أن أريها أقمشتي لأنصرف... فهلا رفقت بي قليلا...

اعترض "عباد" مرة أخرى قائلا: ولكن...

لم يعطه "ابن التركمان" فرصة للإكمال قائلا وهو يبتسم: لا تظن أني سأنساك...

ثم غمز له بعينه السليمة وهو يخرج له من داخل ملابسة صرة ليدسها في يد "عباد"...

أمسك "عباد" الصرة وقام بهزها برفق في يده ليتأكد من محتواها... ثم ابتسم ابتسامة صغيرة حين سمع رنين الدنانير بداخلها...

فحمل حقيبة "ابن التركمان" وهو يقول له في صوت خفيض: اتبعني....

تحرك "ابن التركمان" خلفه في بطء وهو يمسك ببطنه...

صعدا سويا درجات من السلم الخلفي للقاعة حتى بلغا الطابق التالي... فأكمل "عباد" طريقه إلى أعلى مرة أخرى فاستوقفه "ابن التركمان" لاهثا: أين... أين تذهب؟!!!

قال "عباد": إلى الأميرة كما طلبت!!!

قال "ابن التركمان": ألم تخبرني أنه بالطابق العلوي؟!!!

قال "عباد": كنت أقصد أعلى طابق في القصر...

صرخ "ابن التركمان" في فزع قائلا: أعلى طابق!!!... بهذا سأخسر نصف وزني إن لم أخسر قبله حياتي...

نظر له "عباد" في حيرة لا يدري ما يقول...

فتابع "ابن التركمان" في أسى: ولكن... ليس باليد حيلة... يجب أن

أرى الأميرة الليلة... وإلا ذهب تعبي كله اليوم سدى...

ثم نظر إلى "عباد" وقال وهو يلهث: حسنا يا بني... تقدم وسوف أتبعك...

وبعد عدة دقائق وصل الإثنان إلى الطابق الذي يحتوي على مخدع الأميرة و "ابن التركمان" لا يتوقف عن اللهاث...

قال له "عباد": مخدع الأميرة يقع في نهاية هذا الممر... ولكني...

نظر "ابن التركمان" إلى القلق الذي يعلو وجه "عباد" فقال له: ولكنك ماذا؟!!!

قال "عباد": لا أستطيع أن أقترب معك إلى هناك وإلا علمت الأميرة أو إحدى وصيفاتها أني من أرشدك إلى مخدعها... وقد قلت لك قبل هذا أنه ليس مسموحا....

قاطعه "ابن التركمان" قائلا: لا عليك يا بني... سأتولى أنا أمر الحقيبة من هنا... جزيت خيرا...

ابتسم "عباد" ابتسامة فرحة وترك الحقيبة أرضا ثم ذهب مسرعا ليهبط الدرج قبل أن يراه أحد...

أمسك "ابن التركمان" بالحقيبة بقوة قبل أن يتمتم قائلا: توكلت على مالك الملك...

تحرك "ابن التركمان" بخفة غريبة نحو الحجرة التي أشار إليها "عباد" في

نهاية الممر... وعندما وصل إليها وجد بابها مفتوحا والضوء ينبعث من داخلها...

وقف لحظات وأصغى سمعه من خلف الباب ليجد أن الهدوء هو سيد المكان بالداخل...

فدفع الباب برفق واشرأب بعنقه لينظر داخل الحجرة فوجدها خالية...

فتحرك داخلها وترك حقيبته بجوار الباب... أخذ ينظر حوله بهدوء فلم يعر انتباه شئ غريب....

ثم نظر إلى ناحية مرآة الأميرة ليجد مكحلة "العلقمي" ملقاة على جانبها وسائل أزرق يسيل ببطء من فوهتها... فاقترب منها ووجد بجوارها الكيس البنفسجي والشريط الفضي...

فعقد حاجبيه وهو يقول لنفسه: ها أنت إذا...

أمسكها بحذر قبل أن يديرها عدة مرات أمام عينيه... ثم أخذ رأسها وأحكم إغلاقها قبل أن يدسها في جيبه وهو يقول: والآن... أين سيدتك؟!!!

أخذت عينيه تدور في المكان بحثا عن أي دليل...

كانت الحجرة مرتبة لا يبدو عليها أي شئ غريب... الشرفة التي تطل بها الحجرة على واجهة القصر مغلقة بإحكام....

المقاعد في مكانها و...

وفجأة تناهى إلى مسامعه صوت لرجال يتكلمون قادم من الناحية الجنوبية...

فخطا بخطوات سريعة تجاه النافذة الخلفية لحجرتها ونظر منها بحذر... فوجد أربعة رجال يعدون بالأسفل تجاه عربة تنتظرهم وهم يحملون شيئا ما... فمال بعنقه أكثر ليرى سيدة تسير خلفهم وهي تقول لهم كلاما لم يتبين منه الكثير إلا: هيا... بحذر... كما... ولا تقفوا... أميرة!!!!

فعقد حاجبيه في غضب قبل أن ينزع عن عينه اليمنى العصابة السوداء ويدسها في جيبه لتبرز من تحتها عين زرقاء وهو يقول: أكره أن يكون حدسي دائما محقا...

ثم أكمل وهو ينزع عمامته وعباءته وبطنه الكبيرة التي لم تكن إلا العديد من الأقمشة المربوطة بإحكام حول وسطه: أحمد الله أن معي الحبل الجديد الذي صنعه لي "حسن"...

ثم أمسك حبلا مطاطيا طويلا يتصل بحلقة معدنية بحزامه الجلدي ينتهي بخطاف ذهبي... ونظر بإمعان إلى أسفل ثم قام بظبط طول الحبل ليتناسب طوله مع ارتفاع نافذة الأميرة عن أسفل القصر... ثم قام بتثبيت الخطاف بإحكام في النافذة و صعد بقدميه على حافة النافذة وهو يقول: يبدو أنه لابد أن يكون لك حظ من اسمك يا "شهاب"...!!!!

ثم قفز الرجل الذي لم يكن إلا الفارس "شهاب الدين" من النافذة وهو

يبسط ذراعيه محلقا كنسر عظيم...

أخذ الحبل المطاطي في التناقص سريعا قبل أن يشتد معلنا نهاية طوله فاندفعت الحلقة المعدنية المثبته في حزام "شهاب الدين" لتدور في مجرى لها حول وسطه لتستقر في منتصف الحزام من جهة ظهره...

واصل جسد "شهاب الدين" السقوط لمتر آخر أو مترين واقترب من الأرض جدا قبل أن يرتد الحبل المطاطي فجأة إلى أعلى في عنف حاملا جسد "شهاب الدين" إلى أعلى... ومع هذه الارتدادة العنيفة انفصل جزء من الخطاف الذهبي المثبت في نافذة الأميرة ليسقط الحبل ومعه "شهاب الدين" على الأرض...

نظرت السيدة التي لم تكن إلا "سهيلة" خادمة الأميرة إلى موضع سقوط "شهاب الدين" من خلفها في رعب... وضاقت حدقتا عينيها في محاولة لتبين حقيقة صوت السقوط التي سمعته...

وفجأة... اندفع بجوار أذنيها يمنة ويسرة حصى صغير... ثم سمعت تأوهات من خلفها...

فالتفت وراءها... لتجد أحد الرجال الأربعة والذي كان يستعد للصعود لمؤخرة العربة يمسك بيده اليمنى في ألم واضح ويصرخ قائلا: هيا تحركوا سريعا...

استجاب له قائد العربة على الفور وضرب بسوطه ظهر الخيول الأربعة الذين يجرون العربة ليرتفع صوتها بالصهيل وقوائمها الأماميه تضرب

الهواء في سرعة قبل أن تبدأ في العدو إلى الأمام في سرعة...

ارتفع صوت قدم تعدو في سرعة من الخلف فاستدارت "سهيلة" لتنظر إلى موضع هذا الصوت وعيناها بدأت في الاتساع فرقا وقدماها تتراجع إلى الخلف...

ومن وسط الظلام ظهر فجأة جسد البطل "شهاب الدين" تحت ضوء القمر يعدو بسرعة تجاه العربة متجاهلا "سهيلة" والحبل المطاطي يزحف على الأرض خلفه في سرعة...

ولكن رغم عدوه السريع إلا أن العربة تمكنت من الإسراع بعيدا عنه ولم يستطع اللحاق بها...

وبينما تهم من خلفه "سهيلة" في الفرار... وجدت قذيفة من الحصى تضرب الأرض بجانبها لا تفصلها عن قدميها سوي مسافة قصيرة جدا... فتسمرت مكانها كتمثال من الصخر وهي لاتقوى على النظر إلى خلفها...

سمعت خطوات "شهاب الدين" وهو يقترب في بطء من خلفها فنظرت بطرف عينها لتراه قادما من الناحية اليمنى وهو يلف حبلا طويلا في يده ثم يثبته في حزامه...

وتقدم "شهاب الدين" ليقف أمام "سهيلة" التي رفعت رأسها لتبصر في ذعر وجهه الذي تناثر عليه شعر رأسه الأشقر الطويل فأخفى هذا معالم وجهه والتمعت من بين خصلات شعره عينه اليمنى الزرقاء تحت

ضوء القمر لتضفي عليه مظهرا مخيفا... فشهقت "سهيلة" حينما بدأ رأس "شهاب الدين" يقترب من رأسها في بطء قبل أن يخرج منه صوت عميق مهيب يقول: أين أخذوا الأميرة؟!!!!

لم تستطع "سهيلة" أن ترد وهي تميل برأسها إلى الوراء بعيدا عن "شهاب الدين"... فاستمر "شهاب الدين" في الاقتراب منها وهو يردد مرة أخرى في صوت مرعب بلغة "المغول": أين أخذوا الأميرة؟!!!

بدت لسهيلة كلمات "شهاب الدين" هذه المرة والتي قالها بلغة لم تسمعها من قبل شديدة الغرابة والرعب...

وفجأة صرخ "شهاب الدين" في وجهها صرخة هادرة مكررا نفس السؤال بلغة "المغول": أين أخذوا الأميرة؟؟؟

لم تفهم "سهيلة" شيئا مما قال ولكن الحروف التي صرخ بها شعرت وكأنها وحش أسود عملاق يوشك أن يبتلعها... فتراجعت في خوف وهي تنظر في عين "شهاب الدين" الزرقاء التي تبدو متسعة في غضب بين خصلات شعره...

وفجأة... سقطت سهيلة أرضا مغشيا عليها...

فنظر إليها "شهاب الدين" للحظة ثم عدا مسرعا إلى الموضع التي كانت تقف به العربة قبل أن تفر... ثم جثا هناك على ركبته اليمنى وتفحص

الأرض باهتمام قبل أن يقول: هذه كانت عربة العلقمي... وهذه البقعة السوداء هي من أثر الحبر الأسود الذي وضعه "حسن" بداخلها...

ثم نظر إلى الأمام وهو يبتسم ويقول: لم تربح بعد يا "علقمي"....

*****

"الاختطاف"

ارتفع صوت حوافر الجياد الأربعة التي تجر عربة "العلقمي" وهي تضرب الأرض سريعا استجابة لسوط قائد العربة الذي لا يزال يلهب ظهورها من حين لآخر...

وفي داخل العربة قال أحد الرجال للآخر: هل ما زالت يدك تؤلمك يا "رافع"؟!!!

قال "رافع" وهو يمسك يده اليمنى باليسرى في ألم: لا أستطيع أن أحركها...

ثم أتبع في غضب: من يكون هذا الرجل الذي قذفنا بهذه الحجارة؟!!!

قال الرجل الثالث الجالس بجوارهم والذي كان قد انتهى لتوه من تقييد الأميرة "مريم" الممددة على المقعد الخلفي للعربة: لم أتبين وجهه حقيقة... لعله أحد حراس الخليفة...

قال "رافع": ولكن كيف؟ ألم تؤكد "سهيلة" لنا أن جميع حراس الخليفة مع قائدهم "طارق" هذا لتأمين دخول الخليفة لقاعة الاحتفال!!!

قال الأول: بلى... هذا صحيح...

نظر الثالث في قلق إلى عين الأميرة التي وإن بدت مفتوحة إلا أنها لم

تكن تنظر إليهم ولكنها كانت تنظر إلى سقف العربة... ثم ابتلع ريقه وقال: دعوكم من هذا الآن... أتظنون أنها ترانا؟!!!

قال له الأول مطمئنا: اطمئن يا "حازم" فلقد أكد لي سيدي أنها لن تستطيع أن تتبين ملامحنا... وأصواتنا بالنسبة لها الآن مشوهة وإن كان بإمكانها أن تسمع ما نقول...

قال "حازم" في غضب: تسمع؟!!! إذا لماذا ذكرت اسمي؟!!!

قهقة الأول ثم قال: لا تقلق... كم عدد من تظن أن اسمهم "حازم" بالمدينة... كما أني لا أظنها عندما تفيق ستتذكر ما حدث لها...

قال "رافع": هذا إن فاقت أصلا...

قال "حازم" في ذعر: ماذا تقول؟!!! هذا ليس ما أخبرتماني به... لقد قلتما لي أن سيدي يريدها الليلة له وأن....

قاطعه الأول في حزم: اصمت... هذا ليس من شأنك... أنت هنا لتنفذ تعليمات وأوامر سيدك وسيدنا بلا مناقشة...

ابتلع "حازم" ريقه في صعوبة وهو يعاود النظر مرة أخرى بقلق إلى الأميرة والتي بدت ملامح وجهها جامدة وهي تنظر إلى سقف العربة وتخرج من فمها تأوهات ضعيفة...

قال "رافع" للرجل الأول: وماذا سنفعل عند وصولنا إلى المنزل يا "كاظم"؟!!!

قال "كاظم" في خشونة: لا أريد المزيد من الأسئلة... أنتم هنا فقط لتنفيذ الأوامر...

رفع "رافع" يده اليمنى أمام عينيه في ألم وهو يقول: ولكنك تعلم مصابي... ولا أظني أستطيع أن أحمل...

قاطعه "كاظم" في خشونة أكبر وهو يضغط على أسنانه: هل هذا ما يقلقك؟!!... أنك لا تستطيع أن تحمل الأميرة معنا لأن يدك قد خدشت؟!!!

قال "رافع" مدافعا عن نفسه: ليس خدشا... أن لا تعلم مقدار الألم الذي....

قاطعه "كاظم" مرة أخرى قائلا: لا يهمني أن أعلم... وإن كان حمل الأميرة يقلقك فلن تحملها معنا... ولكنك لن تتخذ من هذا الأمر عذرا لتهرب إلى بيتك... هل تفهم؟!!

اتسعت عينا "رافع" وهو يقول: لا... لا... لا أريد أن أهرب...

ثم تبادل نظرة قلقة مع "حازم" ثم قال: وهل مما فعلناه من مهرب!!!!

مال "كاظم" نحوهما بجسده ورفع سبابة يده اليمنى وقال: اسمعا كلاكما... لا أريد منكما من الآن أي تذمر أو خور... نحن هنا لننفذ الأوامر وليس لمناقشتها أو التأفف منها... وحذاري أن أجد من أحدكما تهاونا... وإلا...

ولم يكمل "كاظم" جملته... فقط أكتفى بتحرك سبابته أمام كل منهما محذرا... ثم تراجع في مقعده في صمت... ثم نظر إلى "حازم" في جدية وقال: هل أعددت القبو كما أخبرتك؟!!!

رد "حازم" في سرعة: نعم... نعم... أعددته منذ الصباح كما أمرتني...

نظر "كاظم" باتجاه "رافع" وسأله: وأنت يا "رافع"... عندما نصل سنحمل نحن الأميرة وستظل أنت أمام المنزل تحرسه حتى نخرج أومأ "رافع" برأسه دون أن يتكلم... فتنهد "كاظم" وقال: حسنا... حسنا...

ثم قال كمن تذكر شيئا: ولا أريد من أحد منكم أن يذكر شيئا من أمر هذا الرجل الذي هاجمنا أمام سيدي الوزير... هل تفهمون؟!!!

هم "رافع" بأن يقول شيئا فبادره "كاظم" قائلا: وأريدك أن تتعامل بيدك بصورة طبيعية أمام الناس وإن آلمتك... لا أريد لأحد أن يعلم شيئا... هل تفهم؟!!!

قال "حازم": ولم كل هذا؟!! فهو يستطيع أن يقول أنها إصابة قديمة مثلا؟!!! ثم لماذا لا نخبر سيدي الوزير؟!!! أليس من واجبنا أن نخبره أن أحدا قد هاجمنا ورءانا ونحن نحمل الأميرة؟!!!

قال "كاظم" في قوة: يبدو أنكما لا تدركان ما يحدث هنا تماما... لقد أوكل إلينا سيدي الوزير هذه المهمة وهي خطف الأميرة شقيقة

الخليفة... هل تدركون مدي فداحة وخطورة الأمر لو تم العثور على الأميرة معنا أو عند منزل سيدي الوزير؟؟؟

قال "رافع" : هذا سيعني مقتلنا جميعا...

قال "كاظم" : هذا صحيح... والآن ما تظنونه سوف يحدث إن ذهبنا بأنفسنا إلى سيدي الوزير وأخبرناه أن رجل ما قد رءانا وهاجمنا؟!!! ما هو القرار الذي سيأخذه ليضمن ألا يستطيع أحد الربط بينه وبين حادث خطف الأميرة؟!!!

قال "حازم" في رعب: يا إلهي... أتقصد أنه سوف...

قاطعه "كاظم" في حزم قائلا: نعم... سيقتلنا نحن...

ساد صمت مهيب في العربة بعد كلمات "كاظم" التي نطق بها لم يقطعه أي منهم إلا من تأوهات الأميرة حتى توقفت العربة تماما...

فتح "كاظم" باب العربة في سرعة وهبط منها ليفسح المجال لزميليه أن يخرجوا وجاءهم سائق العربة ليقف أمامهم... ثم قال "كاظم" موجها الكلام له: أنت يا "هاشم" ستأخذ العربة مرة أخرى إلى قصر الخلافة لتضعها في نفس الموضع الذي أخذناه منها ثم ستأخذ جوادي الذي تركته في مكانها وتأتي به في أسرع وقت... هل تفهم؟!!

أومأ "هاشم" برأسه معلنا تفهمه... ثم التفت "كاظم" إلى "حازم" ورافع" قائلا: وأنت يا "رافع" قف هنا على باب المنزل وتأكد أن لا يقترب منه أحد حتى نخرج لك من داخل المنزل...

ثم أشار إلى "حازم" وقال: هيا يا "حازم"...

دخل "حازم" و "كاظم" مرة أخرى إلى العربة ليحملا الأميرة وهبطا بها برفق من العربة قبل أن ينطلق بها "هاشم" عائدا إلى قصر الخلافة...

*****

"المجذوب"

جذب الفارس "شهاب الدين" عنان فرسه برفق ليجبره على التوقف... ثم قفز من عليه وتفحص الأرض باهتمام ليقول محدثا نفسه: بقع الحبر بدأ حجمها في التناقص... يبدو أنه أوشك على النفاذ...

قالها ثم قفز مرة أخرى فوق ظهر فرسه ولكز بطنه بقدميه ليحثه على المسير... وبعد مسافة قليلة أوقفه مرة أخرى ثم قفز وأثنى ركبتيه وهو ينظر إلى الأرض ثم قال: أظن أن هذا آخر ما تبقى من الحبر...

ثم عدل من قامته ونظر بعيدا في اتجاه الطريق الذي كان يسير فيه... فوجد أن هذا الطريق ينتهي بثلاثة منازل كبيرة تحيط بها الأشجار والنخيل... فربط زمام فرسه بشجرة قريبة وهو يقول مبتسما موجها كلامه لفرسه: أرجو ألا تسأم من انتظاري...

ثم ربت على رقبة الفرس قبل أن يضع يده في جيبه ليخرج العصابة السوداء التي كان يغطي بها عينه اليمنى في الحفل ثم قام بفتح حقيبة قماشية على ظهر الجواد وأخرج منها رداءا واسعا... وما إن أمسك به حتى ألقى به أرضا ووطأه بقدمه عدة مرات حتى أصبح متسخا... ثم أمسك به وأخرج سكينا من حزامه وقام بعمل عدة قطوع به حتى بدا وكأنه رداء قديم بالي...

عقص "شهاب الدين" شعره الأشقر بحبل قصير وهو يقول: أرجو ألا

تتدلى دون إذن كما هي عادتك...

ثم ارتدى "شهاب الدين" العباءة وغطى بها رأسه وبدأ في المشي بخطوات عرجاء تجاه أول المنازل الثلاثة...

وعندما اقترب منهم وجد أن ثلاثتهم يقف على أبوابهم حراس... فقال: إذا هذه المنازل ليست إلا لأناس ذوي شأن... ولكن... أي منهم هو المنزل الذي وصل إليه الخاطفون!!!...

أدار رأسه بين المنازل فلم يجد عربة العلقمي ولم يستطع أن يتعرف على أحد من الحراس... فزفر زفرة قصيرة قبل أن يقول: توكلت على مالك الملك...

ثم بدأت خطواته العرجاء تقترب به من الحراس الخمسة الواقفين أمام أول منزل تحت ضوء مصباح معلق على بابه... وقبل أن يروه هم... صرخ هو بصوت مبحوح: أين ذهب؟!!! أين ذهب؟!!!

انتبه الحراس ونظروا إلى مصدر الصوت القادم من الظلام وهو يتجه إليهم ولايزال يقول بصوته المبحوح: أين ذهب؟!! أين ذهب؟!!

نظر له أحد الحراس من رأسه إلى قدميه ثم قال: عن ماذا تبحث يا رجل؟!!!

قال "شهاب الدين" بصوت أشبهه بالفحيح: الذهب!!!!

نظر الرجل إلى رداءه المتسخ المهلهل ثم قال له في استهزاء: أي ذهب يا هذا؟!!

اقترب منه "شهاب الدين" وهو يحرك رأسه حركات عنيفة يمنة ويسرة وقال: أخذه كلبي... أخذه كلبي... أخذه كلبي....

قال له حارس آخر: هل أنت مجنون؟!!!

وقف "شهاب الدين" أمام أول حارس ثم رفع يداه عاليا وهو يقول: كلبي الكبير أكل ذهبي... إنه... إنه... إنه...

ثم علت ضحكات من "شهاب الدين" قصيرة أتبعها بصوت كالبكاء وقال: هو ليس بخطئه... فهو لطيف... وكبير... وصوته عذب... ولكنه... ولكنه... أخذ ذهبي... أكل ذهبي... ولن أجد أنا ما أطعمه الآن... أين هو... أين... أين؟!!!

تعالت ضحكات الحراس وهم ينظرون إلى من يظنون أنه قد جن باحتقار... ثم قال أحدهم: أتظن أنه تخلى عنك ليطير قليلا في السماء أم ذهب ليسبح قليلا في النهر؟!!!

نظر له "شهاب الدين" وهو يحرك رأسه حركات عنيفة ثم قال: لا تقول عليه هذا... فهو أحن من رأيت... ولا أستطيع الحياة بدون... بدون... بدونه...

ثم وجه بصره إلى قدم أحدهم فجأة وهو يقول: أهو أنت يا حبيبي؟!!! هل عدت إلى والدك؟!!!

ثم قفز على قدميه يقبلها وهو يقول: حمدا لله... حمدا لله... كنت أظن أني فقدتك...

لم يمنعه الحارس من تقبيل قدمه بل على العكس بدا وكأنه مستمعا غاية الاستمتاع بهذا الأمر وتبادل مع أقرانه النظرات الضاحكة و "شهاب الدين" يكثر من تقبيل قدميه وهو جاث على ركبتيه...

ثم اعتدل شهاب وأمسك يد الحارس برفق وهو يقول: شكرا لك سيدي... شكرا لك على مجهوداتك في العثور على كلبي....

قهقه أحدهم وقال وهو يمد يده بدوره إلى "شهاب الدين" ليقبلها : أنا ساعدت أيضا في العثور على كلبك؟!!!

قفز "شهاب الدين" من مكانه ليمسك يد الحارس الآخر وهو يقول: شكرا سيدي ... شكرا سيدي...

قال حارس آخر: وأنا أيضا...

وارتفع صوت آخر يقول: وأنا...

فابتسم "شهاب الدين" ابتسامة منتصر لم يرها أحد منهم وهو منكس رأسه ثم اندفع يمسك يد واحد منهم ليقبلها ثم ينطلق منها إلى يد آخر وهكذا... حتى مد الحراس أيديهم جميعها إليه وهم يضحكون لتذلل هذا المجذوب لهم...

ثم بدأوا في التململ والسأم منه فرفسه أحدهم بقدمه قائلا: يكفينا

هذا منك... اذهب الآن بعيدا...

فسقط "شهاب الدين" أرضا ثم نهض في ضعف و تولى عنهم بعرجته وهو يقول: أين ذهب؟؟؟ أين ذهب؟!!!

وعندما ابتعد عنهم قال لنفسه بصوت خفيض: حسنا... ليس واحد منهم... لعلي أجده في المنزل القادم...

ثم تقدم "شهاب الدين" بخطواته العرجاء تجاه البيت الثاني الذي كان يقف أمامه هذه المرة ثلاثة رجال أمام سور الحديقة الأمامية للمنزل...

وكما فعل مع الحراس أمام المنزل الأول من كلام مخبول وحركات وضحكات جنونية فعل هذه المرة معهم وانكب على أرجلهم وأيديهم يقبلها... ولكنه حينما اقترب من الرجل الثالث وجده يضع يده اليمنى خلف ظهره ولا يضحك كثيرا كصاحبيه فأمسك يده اليسرى في رفق وهو يقبلها مثلما كان يقبل أيدي صاحبيه... وفجأة تشبث بذراعه اليمنى وهو يصرخ في هلع ويقول: لا... لا تتركني وحيدا... أرجوك...

ومع صرخته وجذبه لذراع الرجل اليمنى صرخ هو بدوره صرخة متألم... فزاد تعلق "شهاب الدين" بذراعه وجذبها في عنف من وراء ظهره... فزاد صراخ الرجل وهو يدفع "شهاب الدين" بعيدا عنه وهو يقول: إليك عني أيها المجذوب...!!

ترك "شهاب الدين" جسده يسقط أرضا من دفعة الرجل قبل أن يعاود

صراخه وهو يقول بصوت أقرب للبكاء: لماذا تريد أن تتركني... لماذا؟!!!

قال أولهم في صرامة: يكفي هذا منك أيها الرجل...

أدار "شهاب الدين" رأسه تجاهه في حركة حادة وهو يقول: حذاري أن تحاول أن تجعله يعصيني....

ثم سكت لمدة ثانيتين وقام من على الأرض في بطء وهو يقول في صوت مخيف: فالخيانة عندي أبشع من القتل...

عقد الرجل الأول حاجبيه في استغراب قبل أن تنطلق ضحكات مجنونة من "شهاب الدين" وهو يدور حول نفسه ويرفع ذراعيه يمنة ويسرة وهو يكرر في جنون: القتل... القتل... القتل...

قال الرجل الثالث وهو يمسك يده اليمنى في ألم ويتقدم نحو "شهاب الدين" في غل: يبدو أنك تريد أن تذوق القتل يا هذا...

وضع الرجل الأول ساعده أمام صدر الثالث ليمنعه من التقدم نحو "شهاب الدين" وهو يقول: ليس الآن يا "رافع"... لدينا أمور أهم من هذا...

ارتفع حاجبا "رافع" في غضب وهو يقول: ولكنك لا تعلم مدى الألم الذي أشعر...

قاطعه الأول وهو ينظر نظرة ثاقبة إلى عينيه: ليس هذا ما اتفقنا عليه...

أم لعلك نسيت..!!!

تراجع "رافع" في توتر وهو يقول: لم أنس... ولكن...

قال الأول: ليس الآن... لن أكررها مرة أخرى...

ثم نظر إلى "شهاب الدين" الذي كان توقف عن الدوران وصرخ فيه قائلا: هيا يا هذا... فلتذهب بعيدا عن هنا...

بدأ "شهاب الدين" في الصراخ بكلمات غير مفهومة ... فتحرك الأول في عصبية ناحيته ودفعه دفعة قوية بيده وهو يقول: إن لم تذهب الآن سأقتلك بنفسي... هل تفهم؟!!!

سقط "شهاب الدين" أرضا في تذلل... قبل أن يقوم وهو لا يزال يتمتم بكلمات غير مفهومة ثم بدأ في الابتعاد عنهم وهو يحرك رأسه يمنة ويسرة في عنف...

حدق له الأول في ظهره وهو يبتعد بعيدا عنهم قبل أن يعود إلى صاحبيه وهو يقول: من أين جاء إلينا هذا المجذوب؟!!!

قال "رافع" في غضب: لم تتركني أقتله يا "كاظم"؟!!!

قال "كاظم" في حزم: تريد أن تقتل هذا المجذوب الذي يملأ الأرض صراخا دون أي مبرر؟!!! هل تظن أن وضعنا يحتمل مزيدا من التوتر؟!!! كما أنه ليس المسؤول عما حدث بيدك...

قال "رافع" وهو يشيح بيسراه معترضا: لم أقل أنه المسؤول... ولكني

كنت أريد أن أنفس عن ألمي وغضبي...

ربت "كاظم" على كتفه وهو يقول: ليس هذا وقته...

ثم ابتعد عنهما وهو يقول: سأذهب لأنظر الأميرة بالأسفل ثم سأذهب لقضاء حاجتي في الخلف... وأنت يا "حازم" لا تترك "رافع" يغيب عن عينيك لحظة حتى لا أعود وأجده قد قطع يده التي تؤلمه غلا وغضبا...

قالها وابتسم في سخرية ثم توجه إلى خلف المنزل...

*****

"الناصر يوسف"

تعالت ضحكات الأمير"الناصر يوسف" وهو يقف بجوار الأميرين "بوهمند" و "هيثوم" ورفع يده اليسرى والتي تحمل كأسا فضيا ليفرغ ما تبقى به من شراب في جوفه وهو لا يزال يضحك فشرق بجرعته الأخيرة مما دفعه إلى أن يسعل سعالا عنيفا حتى أثنى له ظهره وأسند راحته اليمنى على كتف "بوهمند" واحمرت عيناه...

نظر "بوهمند" إلى "هيثوم" نظرة ساخرة حتى فرغ "الناصر يوسف" من سعاله وابتلع ريقه عدة مرات في محاولة لتهدئة نفسه قبل أن يقول بصوت به حشرجة: معذرة... معذرة أميري العزيزين...

قال له "هيثوم" وحدقتاه الخضروان تضيقان: لعل كان من الأفضل ألا تشرب هذا الخمر يا حفيد "صلاح الدين"!!!

لم ينتبه "الناصر يوسف" لمغزى كلام "هيثوم" بل قهقه بصوت عال ثم قال: ولما لا؟!!! مادام عقلي لا يزال مستيقظا فلم لا أشربه؟!!!

قال "بوهمند" في سخرية: أواثق أنت من هذا الأمر؟!!!

انطلق فواق عال من حنجرة "الناصر يوسف" ثم قال: تماما كما أثق بوجودكم أمامي... ألستم أربعة رجال كما أرى؟!!!

ثم انفجر ضاحكا وهو يقول: هههههه... كنت أمزح معكما...

فأنتما تعلمان أني لا أستطيع أن أكف عن الضحك...

امتعض "بوهمند" من سماجة "الناصر يوسف" وقلب شفته السفلى... أما "هيثوم" فلم تتغير ملامح وجهه والتي كانت تنظر إلى "الناصر يوسف" نظرة جامدة....

وعندما توقف "الناصر يوسف" عن الضحك المبتذل قال ل "هيثوم": ألا تشرب معي يا أميري العزيز نخبا جديدا...

قال له "هيثوم" بنبرة صارمة: أنا لا أشرب الخمر...

ضحك "الناصر يوسف" مرة أخرى وهو يقول: ولم يا رجل؟!! فهي من معالم الوجاهة والحضارة... أليس في دينكم...

قاطعه "هيثوم" في صرامة أكبر: لا شأن لك بديننا... فنحن أعلم به منك... وإن كنت لا أظن أنك أنت الذي تعلم شيئا عن دينك...!!!

لم تثر هذه الكلمات المهينة للناصر "يوسف" أية حفيظة عنده... بدا وكأنه اعتاد على هذا اللون من الإهانات وتقليل القدر من الغير... وحتى إن فكر أن ينتصر لنفسه فلن يكون هذا على حساب أمير أرمينية... فهذا – بالنسبة له – هو عين الحماقة و التهور...

ما فعله "الناصر يوسف" هو افتعال السعال قليلا دون أن ينطق بشئ...

فقال "بوهمند" مغيرا دفة الحديث: وأين خليفتكم... لما لم يظهر حتى هذه اللحظة؟!!

تلفت "الناصر يوسف" حول نفسه يمنة ويسرة ثم قال وهو يهز كتفيه: لا أدري حقا....

وبينما هو يلتفت وقع بصره على الوزير "يعقوب الحاجب" فناداه قائلا: يعقوب... يا يعقوب... هلم يا رجل...

اقترب منه الوزير "يعقوب" وهو يقول بصوت يملأه التوتر: نعم سيدي؟!!!

نظر "الناصر يوسف" إلى القلق الذي يعلو وجه الوزير ثم سأله في اهتمام: أين الخليفة؟

"لا أدري" !!! قالها الوزير ثم تلفت حوله في سرعة وقلق...

قال "بوهمند": ألم يكن من المتوقع حضوره من مدة؟!!!

تنحنح "يعقوب" ثم قال: ننعم... نعم... هذا صحيح... ولكن....

لم يكمل "يعقوب" كلماته وهو لا يزال يكثر من التفاته...

قال "الناصر يوسف": ولكن ماذا؟!!!

تردد "يعقوب" وبدا أنه سيقول شيئا ثم تراجع عنه عدة مرات... ثم حسم أمره في النهاية واقترب من ثلاثتهم وقال في صوت خفيض: هناك أخبار أن ثمة مخطط ما لخطف الأميرة "مريم" أخت الخليفة....

عقد الأمراء الثلاثة حاجبيهم وقال العربي فيهم: الأميرة!!!

أومأ "يعقوب" برأسه ثم قال: نعم... هذا ما أخبرني به رئيس الوزراء "العلقمي" بنفسه...

قال "بوهمند": إذا هذا هو السبب لعدم حضور الخليفة حتى الآن... ربما هو مع أخته...

قال "يعقوب" في شرود: لا أظن ذلك...

سأله "الناصر يوسف": لماذا؟!!!

انتفض "يعقوب" فجأة كأنما كان في سبات عميق وقال: هه؟!! ماذا؟!!!

قال "بوهمند" في سرعة: لماذا لا تظن أن الخليفة مع أخته الآن؟!!!

أسرع "يعقوب" في الرد هذه المرة قائلا: لأن رئيس الوزراء يجلس الآن مع سيدي الخليفة ليبحثا الأمر سويا... نعم... هو الآن معه...ثم زاد ارتباك "يعقوب" وهو يقول: اعذروني... هناك أمور مهمة تنتظرني... ثم ولاهم دبره وانصرف عنهم في خطى سريعة...

قال "هيثوم" في صرامة: ألم يقل في بداية حديثه أنه لا يعلم مكان الخليفة الآن؟!!

قال "بوهمند": بلى...

قال "هيثوم": إن كان ما قاله هذا الوزير حقا فلا أظن أن الخليفة سيحضر حفل الليلة...

قال "بوهمند" : أتقصد أنه سيخشى على نفسه؟!!!

قال "هيثوم" : بالطبع... يجب عليه أولا أن يتحقق من...

وقطع "هيثوم" حديثه وهو ينظر بطرف عينه إلى "الناصر يوسف" الذي لم يكن يعر لحديثهما أي انتباه... بل كان يركز عينيه على رجل قادم نحوه...

فعاود "هيثوم" مواصلة حديثه مع "بوهمند" دون أن يرفع طرف بصره من على "الناصر يوسف" الذي وقف منتظرا الرجل ليدنو منه الذي لم يكن إلا "بدر الدين لؤلؤ" أمير الموصل...

وعندما وقف بجواره همس له بكلمة واحدة: تَم الأمر...!!!

ثم انصرف عنه مسرعا... لاحت على وجه "الناصر يوسف" ابتسامة منتصر للحظة ثم سرعان ما أخفاها وهو يلتفت إلى "بوهمند" و "هيثوم" قائلا بابتسامة صفراء: أميري العزيزين... ماذا كنا نقول....!!!!!

*****

"المواجهة"

وصل "شهاب الدين" إلى المنطقة التي تقع خلف المنزل الثاني بعد أن دار حول المنازل الثلاثة كلها من على بعد حتى لا يثير الشبهات...

وعندما اقترب من خلفية المنزل وجد هناك حظيرة خيول خالية ووجد بعدها شجرة عظيمة الفروع قبيل المنزل...

فتوجه نحوها في سرعة... ووقف خلف جذعها العريض وأخذ ينظر إلى المنزل جيدا الذي كانت كل نوافذه الخلفية مغلقة بإحكام... ثم تجول ببصره فوجد أنه لا يوجد أحد يحرس مؤخرة المنزل نهائيا اللهم إلا من حارس يسير أعلى سقف المنزل ويقف قليلا لينظر في المنطقة التي تقع في ظهر المنزل ثم يعاود المسير ليختفي من أمام "شهاب الدين" ....

قال "شهاب الدين" لنفسه بصوت خفيض: إذا أنت تذهب إلى مقدمة المنزل ثم تعود...

أخذ "شهاب الدين" ينظر إلى الرجل وهو يظهر ويعاود الاختفاء مرة بعد الأخرى حتى قال: حسنا... أنت تستغرق تقريبا دقيقة في كل جانب... حسنا... علي أن أنجز مهمتي وفقا لهذا...

نزع "شهاب الدين" عنه العباءة البالية ودس في جيبه العصابة التي

كانت تغطي عينه اليمنى وألقاهما بجوار الجذع... ثم وقف ينتظر تراجع الحارس ليقف عند مقدمة المنزل... وما إن أعطاه الحارس ظهره حتى هم "شهاب الدين" بالتحرك...

ولكنه فوجئ بأحد الحراس الثلاثة الذين كانوا يقفون أمام المنزل وهو يظهر من جانبه متجها نحوه...

فتسلق "شهاب الدين" الشجرة في سرعة وتخفى بين غصونها الكثيفة....

لم يره هذا الحارس ولكنه توجه إلى الشجرة ووقف عند جزعها ليقضي حاجته... وبينما هو يفعل استرعى انتباهه عباءة "شهاب الدين" الملقاة أرضا والتي كان يلبسها... فعدل من ثيابه ثم خطا ناحيتها بحذر... وقام بثني ركبتيه ليفحص العباءة... ثم انتفض مذعورا وهو يقول: هذه عباءة المجذوب... إذا هو ... ولم يكمل جملته... ونهض من على الأرض والتفت في سرعة ليعدو بإتجاه المنزل ولكنه فوجئ بعين زرقاء تلمع أمام عينه اليمنى مباشرة لا يفصل بينهما سوى بضع ملليميترات... فشهق في فزع وتراجع بجسده إلى الوراء... ولكن "شهاب الدين" الذي كان متدليا من فوق الشجرة ورأسه إلى أسفل لم يترك له فرصة... فلقد أمسك بكتفي الحارس بقوة وتراجع برأسه إلى الخلف ثم دفعها إلى الأمام بسرعة لتصطدم بجبهة الحارس وهو يقول بصوت مرعب: حان وقت العقاب...

ارتطم جسد الحارس بشدة على الأرض من جراء ضربة "شهاب الدين"

فاقدا الوعي... التف "شهاب الدين" حول نفسه ليقترب من الأرض بقدميه قبل أن يمسك الحبل المطاطي ويجذبه بطريقة معينة ليفصله من الخطاف الذهبي الذي كان مثبتا في غصن سميك أعلى الشجرة... وما إن لامست قدماه الأرض حتى أمسك مسرعا بجسد الحارس وجذبه بيده اليمنى إلى خلف جذع الشجرة بعيدا عن نظر الحارس الذي كان سيظهر في أي لحظة فوق سطح المنزل الآن وبيده اليسرى كان يمسك بحبله ويلفه ليثبته في حزامه...

وبالفعل ظهر الحارس فوق سطح المنزل ونظر بإهتمام... ولكنه لم يجد شيئا مريبا... ثم مكث قليلا قبل أن ينصرف لينظر مقدمة المنزل...

نظر "شهاب الدين" إلى الحارس الفاقد للوعي أمامه ثم قال: حسنا... لابد من هذا... لا أريد أي مفاجئات أخرى...

ثم أمسك عباءته التي كان يرتديها وقطع منها ثلاث قطع قيد بها يدى الحارس وقدميه وكمم فمه...

ثم جرد الحارس من ثيابه وارتداها هو ووضع الخوذة على رأسه بعد أن عقص شعره الذهبي... وسار في اتجاه الجهة التي جاء منها الحارس في ثقة وثبات... والتف حول المنزل ووقف عند الزاوية التي تفصل المقدمة عن جانب المنزل... فاسترق النظر ليجد أن الحارسان الآخران يقفان في الممر أمام المنزل يديران ظهرهما له...

فتقدم في خفة ملتصقا بجدار المنزل الأمامي... حتى وصل إلى

الباب... فسم الله قبل أن يمسك بمقبض الباب ثم دفعه برفق فانفتح...

ابتسم "شهاب الدين" وهو يقول في نفسه: حمدا لله...

ثم دخل وأغلق الباب خلفه في هدوء... ثم دار بجسده لينظر داخل المنزل... الذي – ومع كونه مظلما – كان يوحي بثراء ومكانة صاحبه...

تجول "شهاب الدين" داخله قليلا باحثا عن الأميرة فلم يجد شيئا...

وبينما هو يهم بالصعود إلى الطابق العلوي لفت نظره ضوء خفيض يأتي من عقب باب خشبي مجاور للدرج...

فاتجه نحوه في هدوء... ثم دفع الباب برفق ليجد درجات سلم تقود إلى أسفل إلى مصدر الضوء الذي رءاه...

نزل "شهاب الدين" إلى أسفل ليجد حجرة واسعة وفي نهايتها سرير خشبي قديم ممدد عليه الأميرة "مريم" وهي مقيدة الأيدي والأرجل في أعمدة السرير ومكممة الفم... وبجوارها على منضدة مصباح زيتي كبير... تحرك "شهاب الدين" نحوها في سرعة... وعندما شعرت هي به بدأت في التحرك بجسدها حركات ضعيفة يائسة... فاتجه نحو وجهها ليواجهه وقال: اطمئني... أنا هنا لأخلصك....

نظرت الأميرة بعين زائغة إلى وجهه فلم تستطع أن تتبين إلا خوذة الحراس التي يلبسها فخرج من فمها المكمم تأوهات وصرخات مكتومة...

فترك "شهاب الدين" وجهها واتجه نحو يديها فحررهما ثم فعل المثل

بقدميها... ثم عمد إلى فمها فنزع الكمامة... وما إن نزعها حتى حاولت الأميرة أن تصرخ صرخة ضعيفة ولكن "شهاب الدين" وضع يده على فمها بسرعة وهو يقول: لا... لا أريد منك أن تحدثي أي صوت... اطمئني... لن أؤذيك...

ثم أزال "شهاب الدين" يده عنها في بطء وشك... فلم يصدر منها أي صوت... فاطمأن لها وساعدها على النهوض من السرير... وسار بها حتى وصل إلى الدرج فشعر أنها لن تقوى على الصعود... فحملها برفق وصعد بها إلى الطابق الأرضي من المنزل... ثم وضعها أرضا وتحرك بخفة تجاه نافذة أمامية ونظر من خلالها تجاه الحارسين فوجدهما يسيران بإتجاه الباب... فتراجع مسرعا وحمل الأميرة واتجه نحو نافذة خلفية وفتحها في سرعة ثم صعد على كرسي صغير مجاور للنافذة قبل أن يضع قامته على حافتها وهو يقول باسما: حمدا لله أنك خفيفة الوزن... وقبل أن تمتد يد الحارسين لباب المنزل ليفتحاه جاءت صرخة شديدة من خلف المنزل انتبه لها الجميع...

نظر "شهاب الدين" لمصدر الصرخة فوجد حارسا يجلس على فرسه واقف بجوار الآخر الذي أفقده الوعي...

وجده يصرخ بأعلى صوته: حاااازم... رااااافع.....

فقفز "شهاب الدين" من النافذة حاملا الأميرة ليستقر على قدميه خارج المنزل... ثم وضع الأميرة أرضا في رفق وهو يقول: لا يمنع حذر من قدر... معذرة أميرتي....

ونزع عنه خوذته وألقاها أرضا...

ثم التفت ناحية الحارس الجالس على فرسه وهو يقول في خشونة وقد طأطأ رأسه مركزا عينيه على الحارس: فهناك عمل على انهاؤه...

انطلق "شهاب الدين" يعدو مسرعا نحو الحارس ويده اليمنى تمتدد لتخرج نبلته واليسرى تخرج ثلاثة من الحصى من جعبته...

شعر به الحارس الجالس فوق الفرس فنظر ناحيته ليجده يقوم بفعل غريب...

فلقد قفز شهاب الدين في الهواء قفزة عالية ثم أدار جسده وهو يمسك بنبلته ويلقمها إحدى الحصى...

بدا المشهد وكأنه يسير بطيئا و"شهاب الدين" يصوب نبلته نحو الحارس الواقف فوق سطح المنزل والذي كان وصل لينظر موضع الصرخة التي سمع ليجد "شهاب الدين" نائما بجسده في الهواء موجها النبلة تجاهه لتنطلق منها قذيفة من الحصى تقصف بها جبهته وتسقطه على السطح في عنف...

اتسعت عينا الحارس الجالس فوق الفرس رعبا وهو ينظر إلى هذا المشهد الخيالي الذي حدث أمامه و "شهاب الدين" يسقط أمامه أرضا على ظهره قبل أن يلتف بسرعة مرتكزا على رأسه ليقف مرة أخرى على قدميه موليا ظهره للحارس وفرسه...

ثم نظر من فوق كتفه للحارس بطرف عينه... والتفت في بطء مخيف

وهو يفتح ذراعيه ليصبحا في حذى كتفيه متحديا...

فاستجمع الحارس شجاعته ولكز الفرس بقدميه لينطلق باتجاه "شهاب الدين" الذي وقف ثابتا بذراعيه الممدودتين...

ثم فجأة... انطلق "شهاب الدين" يعدو مسرعا نحو الحارس الذي أشهر سيفه بيمناه...

واقترب الفرس جدا من "شهاب الدين" الذي زاد من سرعة عدوه...

واقترب...

وكاد أن يرتطم كلاهما بالآخر... إلا أن "شهاب الدين" قفز قفزة كبيرة اتسعت لها عين الحارس في دهشة... فهو لم يكن يظن أن بمقدور أحد من البشر أن يقفز مثل هذه القفزة العالية...

وبينما هو مستغرق فى اندهاشه... وجد ساقي "شهاب الدين" تحوطان برقبته وقدميه تنعقدان على بعضهما البعض خلف أذنيه... ثم ترك "شهاب الدين" جسده يهوي أرضا في عنف ليسحب معه جسد الحارس في قوة ليسقط أرضا على ظهره ويطلق صرخة كبيرة....

"هاشم"!!!!

جاءت هذه الصرخة من "حازم" و "رافع" الحارسين المتبقيين وهما يعدوان نحو "هاشم" الذي ظل ساقطا أرضا...

أشهر "حازم" و "رافع" كليهما سيفه... وتقدما في بطء نحو "شهاب

الدين" والذي بدأ يتراجع نحو الشجرة بدوره وهو ينظر لهما متحفزا ...

وضع "شهاب الدين" يده على موضع نبلته في حزامه فلم يجدها... فألقى ببصره على الأرض ليجدها ملقاة بجوار "هاشم" الذي بدأ يحاول النهوض متألما...

فواصل التراجع نحو الشجرة حتى التصق ظهره بجذعها...

فتبادل "حازم" و "رافع" ابتسامة منتصر ظفر بفريسته... وتبعهم "هاشم" وهو يحمل سيفه وقد انحنى ظهره ألما ولكن رغبة الانتقام من هذا الذي أوقعه هذه الوقعة المهينة ملأت عليه كيانه... وفي هدوء... وبينما يحيط ثلاثتهم بشهاب الدين من أمامه وعن يمينه ويساره... أخرج "شهاب الدين" من حزامه خطافا فضيا وثبته في نهاية الحبل المطاطي... وثبت الحلقة المعدنية في حزامه ليجعل طوله قصيرا...

نظر له الرجال الثلاثة في استهزاء... ثم قال له "رافع": ألا ترغب في الموت بسيوفنا يا هذا فتريد أن تشنق نفسك منتحرا؟!!!...

ظل "شهاب الدين" على صمته وهدوءه ونظرته المتحفزة...

جل ما فعله أن قذف بالخطاف أعلى الشجرة ليتعلق بغصن سميك...

قال "حازم" دون أن يرفع عينيه عن "شهاب الدين": ماذا تريد أن نفعل به يا "رافع"؟!!!

قال "رافع" في غل: أرى أن نقطع له يده اليمنى فاليسرى أولا...

لم يحرك "شهاب الدين" ساكنا وهو يقلب عينيه بين ثلاثتهم...

وفجأة...

نطق الحراس الثلاثة بكلمة واحدة في نفس الوقت تشف عن تدريب تلقوه معا...

"الآن..."!!!!

والعجيب أن "شهاب الدين" نطقها معهم أيضا...

"الآن..."!!!

وقفز "شهاب الدين" نحو "حازم" الذي كان على ميمنته ثم انزلق أرضا ليتفادى ضربة سيفه وفي نفس الوقت ارتطم بقدميه فأسقطه أرضا...

واشتد الحبل المطاطي... فارتد جسد "شهاب الدين" إلى أعلى وإلى الجهة اليسرى وهو يفرد ساقه اليسرى ليركل بها وجه "رافع"...

ثم اندفع جريا تجاه "هاشم" وقفز على وجهه ليكيل له لكمات قوية في عينه أسقطته أرضا فاقدا للوعي... قبل أن يشتد الحبل المطاطي مرة أخرى ويجذب جسده إلى الخلف... فدار بجسده دورة كاملة في الهواء قبل أن يسقط بين "رافع" و "حازم" اللذين لم يكادا يقفان على قدميهما فتوجهت لكماته وضربات قدمه إلى وجوههما وصدورهما وأرجلهما...

وفي ثوان معدودة... سقط الحارسان أرضا بلا حراك...

نظر لهما "شهاب الدين" وصدره يعلو ويهبط في قوة... ثم قال وهو يعيد شعره الذي تناثر على وجهه إلى الخلف بأصابعه بعد أن قفز لينزع الخطاف الفضي من الشجرة: يبدو أن مستوى لياقتك قد انخفض يا "شهاب"...

ثم أكمل وهو يعاود المسير نحو مؤخرة المنزل حيث ترك الأميرة: يبدو أن تركك المواجهات والتدريب طيلة المدة الماضية قد أثر سلبا عليك...

وعندما وصل إليها وجد أن حالتها تزداد سوءا...

فعينيها أصبحت لا تقوى على الانفتاح...

فقام بهز كتفيها قائلا: "مريم"... "مريم"...!!!

فلم تعطه جوابا... بل كان جسدها يهتز دون أي مقاومة...

حاول أن يوقفها على قدميها فسقطت منه أرضا...

فانحنى نحو وجهها وحاول فتح عينيها... فلمح ذلك الجرح الصغير فوق جفنها الأيسر الذي كان يحوطه الكحل الأزرق...

وفجأة تناثرت مشاهد عدة في رأس "شهاب الدين"....

"العلقمي"....

"كتبغا".....

"المكحلة".....

"حجرة الأميرة".....

"الطبيب مالك البصري".....

"هند".....

"الجرح"....

" تبدأ الأعـراض أولا في ضعف في عضلات الجسم مع صعوبة في الحركة... ثم يصل الأمر إلى صعوبة في الرؤية والكلام...ثم شلل تام في عضلات الجسد... ثم بعد ذلك قد يؤدي إلى...."

" أشياء أخري كتلوث الجروح مثلا"....

"الجروح"....

"المكحلة".....

"العلقمي".....

"كتبغا".....

"كتبغا"....

"كتبغا".....

"التسمم".....

وبدون تردد... دس "شهاب الدين" يده داخل ردائه ليخرج زجاجة ترياق السم الذي كان من المفترض أن يعيدها إلى العالم "ابن النفيس"... ونظر لها في قلق ثم قال: آمل أن يكون حدسي مصيبا...

وفتحها ثم أمسك بفك الأميرة "مريم" وفتحه وأفرغ كمية لا بأس بها في جوفها...

ثم أغلقه ليحثها على ابتلاعه...

وانتظر بجوارها وهو يكتم أنفاسه ويدعو ربه في سره...

وانتظر...

وفجأة لمح حركة بسيطة في يدها اليمنى...

فتهللت أساريره وهتف: حمدا لله...

ثم تركها وذهب ليحضر مسرعا الفرس الذي كان يقوده "هاشم" وأخذ نبلته من على الأرض ثم رفع الأميرة على الفرس وقبل أن يقفز على ظهر الجواد توقف كمن تذكر شيئا... فعاد إلى عباءته الملقاة بجوار الحراس الأربعة فنزع منها قطعة وعاد إلى الأميرة وكمم بها فمها وهو يقول: معذرة... هذا لمصلحتك أنت..!!!!

*****

"شهاب الدين"

وقف الحراس الخمسة على مدخل قصر الخلافة وقد أصابهم الضجر والسأم... وبدأوا في التأفف والتذمر من طول وقوفهم على أرجلهم دون داع يرونه...

وبينما هم على هذا الأمر... إذ بهم يجدوا رجلا ضخما يأتي نحوهم... فتعجبوا لمجيئه متأخرا بعد أن توقف مجئ الضيوف منذ ساعتين أو أكثر...

وعندما اقترب منهم عرفوه على الفور...

صاح الحارس "أنس" متعجبا: سيدي "ابن التركمان"... ولكن... ولكن كيف؟!! ألست في الحفل؟!!!

وصل لهم "شهاب الدين" وقد ملأ عباءته بالأقمشة مرة أخرى ليبدو سمينا ووضع العصابة السوداء على عينه اليمنى ولكنه حمل هذه المرة جوالا كبيرا على كتفه تبرز منه أقمشة ذات ألوان عديدة...

أخذ "شهاب الدين" في الشهيق بصوت عال في محاولة لإلتقاط أنفاسه قبل أن يقول: ال... الأميرة... طلبت... الأميرة طلبت مني... بعض الأقمشة... الأقمشة الهامة...

وقبل أن يسأل "أنس" سؤالا آخر أكمل "شهاب الدين" مسرعا: وأخرجتني من الباب الخلفي للقصر لأحضرها لها اليوم... فهي تريد أن ترتدي وشاحا جديدا حدثتها عنه في حفل الليلة... وأقسمت لي أنها لن تخرج إلى الحفل إلا وهو على كتفيها...

نظر الحراس إلى بعضهم البعض ثم تحرك "أنس" ناحية "شهاب الدين" قائلا: دعني أحمل عنك إذا يا سيدي...

رد "شهاب الدين" يده الممدوده في رفق قائلا: لا عليك يا بني... قد اعتدت هذا اللون من التعب... أطلب منك فقط أن تتقدمني إلى داخل القصر حتى أتمكن من توصيل الأقمشة إلى الأميرة... فقد حذرتني من مغبة التأخير عليها... هيا يا بني...

هز "أنس" كتفيه قائلا: على راحتك يا سيدي... تفضل...

وقاده "أنس" حتى بلغ باب القصر ثم قال له: هلا أنادي لك "عباد" ليساعدك في الوصول للأميرة...

ضحك "شهاب الدين" قائلا: لا تقلق يا بني... فأنا أعرف طريقي جيدا...

عقد "أنس" حاجبيه في استغراب... قبل أن يشيح بيده لا مباليا ليعود ليقف مع أقرانه عند بوابة القصر...

وما هي إلا لحظات حتى وصل البطل "شهاب الدين" إلى حجرة الأميرة ليضع الجوال من على كتفه برفق على السرير... ثم يفتحه ويخرج الأقمشة الملونة من فوهته ثم يمزقه بيده بقوة لتبرز بداخله الأميرة والتي كان يبدو عليها بعض التحسن...

نزع "شهاب الدين" عن الأميرة ماكان يكمم به فمها ....

فتحت الأميرة عينيها الواسعتين في بطء وحاولت النظر إلى الرجل الذي كان أمامها فلم تستطع تبين ملامحه بدقة... فعيناها لم تعودا لسابق عهدهما بعد والصورة أمامهما لا تزال مشوهة إلى حد ما... ولكنها استطاعت أن ترى الرجل وهو ينزع عنه عباءته ويخرج من تحتها أقمشة كثيرة جعلته يبدو أكثر نحافة من ذي قبل...

ثم وضع يده فوق رأسه ليزيل عمامته... ونزع شيئا من وجهه ليبرز ضوء أزرق لامع من تحته...

ثم وجدته يقف يوجه رأسه ناحيتها لمدة قصيرة ثم بادر بالانصراف...

فاستجمعت قواها ونطقت في ضعف: من... من أنت؟!!!

توقف "شهاب الدين" عن المسير ونظر خلفه بطرف عينه اليمنى لتلمع مرة أخرى أمام الأميرة...

ولم يعطها جوابا...

بل توجه تجاه النافذة الخلفية...

وأمسك الخطاف الذهبي الذي كان لا يزال مثبتا فيها...

وربط حبله فيها ...

وعدل طوله في حزامه...

ثم ألقى نظرة أخيرة على الأميرة...

وصعد ليقف على حافة النافذة...

وفتح ذراعيه...

ثم قفز....

(تمت بحمد الله)

«شهاب الدين»

للمؤلف

د. مصطفى رأفت

لا تنسي أن تترك رأيك و تعليقاتك علي صفحة

شهاب الدين علي الفيس بوك

@shehabAdeen

في حالة وجود أي شكاوي من جودة طباعة الكتاب يرجي التواصل
معنا عبر صفحتنا الرسمية بال Facebook

" زيرو وان للنشر و التوزيع Zero one "

او عبر التليفون : 01090288777 - 01285829109

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense.

زيرو وان بيكتشيرز للتوزيع – ١٦ احمد فخري – القاهرة
تليفون : 01090288777
E.mail: Zeroonepictures@outlook.com
Zeronepictures.com
website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.